المجلد السادس عشر ١٩٤ ، ١٩٣ الجزء الحادي عشر والثاني عشر



تشرين الثاني وكانون الأول سنة ١٩٤١ م

ذو القعدة وذو الحجة سنة ١٣٦٠ هـ

دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي	في سورية ولبنان ٣٠٠ قرش سوري
الدفع مقدماً	وفي جميع الاقطار ٤٠٠ « «

مطبعة الترقي بدمشق



شيطان الظهيرة

هذا عنوان رمزي لا حقيقة للشياطين فيه . وقديماً ادخلوا الشياطين في الطب واسكنوها صدور المغلوبين على أعصابهم ، ضيوفاً غير محتشمة ، فكانوا يعتقدون ان المصابين بداء الفزع او الهيستريا «مشيطنون» ويأولون شفاءهم بطرد الشيطان بغريب الوسائل والطرق .

جاء في المزمور التسعين للنبي داود : لا تخش من هول الليل ، ولا من سهم يطير في النهار ، ولا من أمرٍ يدبر تحت جنح الظلام ، ولا من شيطان الظهيرة . وقد فسر الشراح شيطان الظهيرة بالذي يغري الانسان بالفساد ويحمله على الفسق عقيب الافراط من ملذات المائدة . واستعاره الروائي بول بورجه للحب الذي يستولي على الانسان بعد الاربعين او الخمسين لانه حب عنيد أعمى لا يعرف سلطة الواجب ولا حداً للعاطفة .

في هذا الدور من العمر بعد أن يبلغ الانسان ذروة القوة ويشرف على منحدر الهرم ، يصيب الوظائف التناسلية تغيرات لا عهد بها ، ويستولي عليها انحطاط تدريجي كثيراً ما يرافقه يقظة الشهوة وهيجان الحواس .

وقد استهزأ موليير في روايته « مدرسة النساء » بالرجل الذى يعشق في هذا الدور الا ان الشاعر العربي تدارك ذلك فقال :

وماذا تبتغي الشعراء مني   وقد جاوزت حد الأربعين

على أن التاريخ يقدم لنا شواهد كثيرة عن هذا الحب الذي يصح أن نسميه بالحب الرجعي . فقيصر الرومان بعد أن وصل ما وراء الغاية من المجد وتمتع ما شاء بالحب والانتصار واعجاب الناس قصد الى مصر وهو في السادسة والخمسين من العمر ليخضع العصاة فاذا بكليوباترا الملكة الشابة تسلبه اللب وتخضعه ، ولولا إلحاح قواده رجاءً وتهديداً لما رضي بالرجوع الى بلاده . وأراد أن تشترك كليوباترا في عيد

تمجيده فأرسل في طلبها وأسكنها أفخم قصوره وأقام لها تمثالاً من الذهب في هيكل آلهة الحب .

وهنري الرابع في عامه السابع والخمسين علق بحب شارلوت موغرامي وهي لم تشهد ستة عشر ربيعاً ، وأضاع فيها رشده حتى أفضى به الأمر الى التخفي في زي سائس الخيل ليتمكن من رؤيتها بعد أن هجرت القصر الملكي هرباً منه .

ومثل من ذكرنا الشاعر روشار ، وشاتوبريان ، وواكنر ، والفرد دوڤيني ، وفيكتور هيكو ، واوكست كنت ، وبوفون ، وغيرهم كثير .

وأغرب حب من هذا النوع هو الذي اشتهر به برليڤذر الموسيقي فقد احب فتاة في صباه ، ثم بعد أن بلغ السبعين ونقل فؤاده حيث شاء من الهوى عاد إلى الحبيب الاول واخذ يراسل الفتاة وقد صارت عجوزاً وجدة ، ويعرض عليها قلبه المتيم فنصحته بالكف عن ملاحقتها بعد ان بلغت من العمر عتياً .

ومن قرأ رسائله ورأى ما فيها من بلاغة التعبير وقوة الاقناع وصدق العاطفة تولاه الدهش من هذا القلب البشري وما يمكنه أن يحمل من غرائب الأسرار او يتقلب فيه من عجائب الأطوار .

هذا الحب في الكهولة يمتاز بانه لا ينحصر في اللذة الجسدية بل يتناول شعوراً آخر هو نصف الحب بل أشرف مافيه وانقى وأبقى وهو الصداقة . والى جانب الصداقة عواطف كثيرة مختلفة من خوف وغيره وحياء وفضول وشدة تأثر وغير ذلك يديرها خيال خصب يصور الحياة بألوان زاهية الإشراق ساحرة الآفاق .

ولا حاجة الى جمال فائق ليوحي هذا الحب فلا سلطان هنا للحظ الساحر ، والخد الاسيل والقد الرشيق وحسب المرأة قليل من الجاذب لتأخذ سبيلاً الى القلب . ثم نجد من اختلاف الميول والأذواق مالا يقل عن اختلاف الوجوه ؛ فمنهم من يتعشق المرأة لبساطة ما فيها ومنهم رغبةً بالمفاداة ومنهم من يستهويه الجمود والبرودة ويلذ له ان يحب ليبعث الحياة في هذا الجماد الى آخر ما هنالك . ولا يعني هذا تساهلا من جانب الكهول في اختيار من يحبون فقد يكونون كالنهم المترف

لايرضيه شيء من الطعام مهما تفنن الطاهي في علاجه ، او بالعكس كالذي يأكل كل ما يصيب ويفترسه افتراساً وربما اختنق به ، والغالب ان الذين يختنقون هم القلة وأكثر الكهول يحاولون الحصول على أفضل ما يمكن ، اعتداداً بالنفس ولسان حالهم يقول :

لا يرعكِ المشيب يا ابنة عبـ ... ـد الله فالشيب جلةٌ ووقار
إنما تحسن الرياض إذا ما ... ضحكت في خلالها الأنوار

والمعروف أن السواد الأعظم من هؤلاء ان لم نقل كلهم يضيعون قوة الاشراف على حركاتهم وتضعف الارادة فيهم الى درجة ينسون معها الواجب نحو ازواجهم وبنيهم . ولا يردهم عن غيهم نصح أو تأنيب ولا يشفيهم من دائهم كاهن ولا طبيب . فهم كما قال الشاعر :

ولما أبى الا جماحاً لحبه ... ولم يسلُ عن ليلى بمال ولا أهل
تسلىّ بأُخرى غيرها فإذا التي ... تسلى بها تغرى بليلى ولا تسلي

أما الحب الروحاني المجرد عن شوق الجسد ولذة المادة فلا أثر له فيهم . واذا تظاهروا به فاستدراجاً للمرأة وتوصلاً الى الحب الآخر . وقد عرفت المرأة هذا فأصبحت لا تؤمن ولا تصدق . ولا غرو فان الذي يستميل الرجل للوهلة الأولى ويحرك فيه عاطفة الهوى هو الجاذب او جمال الصورة قبل ان يتبين ما وراء ذلك من حسن الخلال وعذوبة الأخلاق . لذلك ترى الشعر وهو المعبر عن العواطف سواء أكان الغزل فيه حقيقة ام خيالا لا يذكر الحب الا مقروناً بالوصال .

قال المتنبي :

زودينا من حسن وجهك ما دا ... م فحسن الوجوه حال تحول
وصلينا نصلك في هذه الدنـ ... ـيا فإن المقام فيها قليل

وقال الحمداني :

معللتي بالوصل والموت دونه ... اذا متّ عطشاناً فلا نزل القطر

وقال غيره :

صلي واغنمي اجراً فما وردة الربى تدوم على حال ولا وردة الخد

الى آخر ماهنالك مما لا يقع تحت حصر .

وقلما تجد من الشعراء من اكتفى بالروح كقول الواحد :

اني أحبك حبـاً لا لفاحشة والحب ليس به في الله من باس

او قول الآخر :

أحبـك ياليلى على غير ريبة وما خير حب لا تعف سرائره

والذى يجعل الكهل اكثر استعداداً من غيره وميلاً للذة الجسدية قوة تصوره وسرعة تهوره وسهولة تأثر جهازه العصبي والخبرة الواسعة التي اكتسبها فيما مضى ، فتراه يتفنن في الطرق التي تجلب له هذه اللذة وقد لا يحجم من أجلها عن ارتكاب الموبقات ما لم يكن منه له زاجر .

واذا عدنا الى الماضي وجدنا سعي الانسان وراء ملذات الجسد لم يخل منها زمان ولا مكان . فقد كان التهتك عادة في الطبقات العليا من الشعب ، والزواج المحرم حلالا . وقد شرع الحكيم سولون شرعة للبغاء وضعها تحت حماية الآلهة وكانت بلاد الاغريق سدوماً ثانية ، ومدارس الفلاسفة مجتمعاً للفساد مما ضج له المشترعون ورجال القانون فجعلوا الحرق بالنار عقاباً لكل من جار في الحب عن قصد السبيل .

وشيطان الظهيرة يزور الرجال أكثر من النساء لان الانحطاط اسرع الى جسم المرأة فلا يدع لها مجالاً لاستقباله . على انه لا ينكر ان اقتراب زمن اليأس يوقظ حاسة الجنس في المرأة ويسبب لها أعراضاً مرضية وأحلاماً مزعجة كانوا يعتقدون فيما مضى أنها من عمل السحرة او الأبالسة . وقد فسر « فرود » هذه الاعراض حسب طريقته المعروفة فهو يعتقد أن الجاذب الجنسي هو المحور الذي تدور عليه كل حركاتنا وأعمالنا وان الحياة البشرية جمعاء معلقة بهياج تناسلي او رغبة أطلق عليها اسم Cibido وهذه الرغبة التناسلية موجودة في كل أدوار العمر من

الطفل الرضيع الى الشيخ المنحني تحت أثقال السنين . وان اكثر الأعراض العصبية والدماغية ان لم نقل كلها ناتجة عن تأثرات جنسية كامنة في العقل الباطن ، مردودة او مكبوتة أو ممنوعة من الظهور . وبناء على هذا الاعتقاد أوجد طريقته المشهورة اي المعالجة بالتحليل النفساني Psychanalyse وهي أن يستلقي المريض على ظهره ويأخذ بسرد حوادث ماضيه فيصغي الطبيب اليه وهو يحاول ان يقع منها على أثر قديم يمكن الرجوع اليه فى تعليل الداء الحاضر . وهذه الطريقة قديمة معروفة فهي لا تختلف عن الاعتراف عند النصارى بل ربما كانت دونه في الجدوى لان فكرة الغريزة الجنسية والاعتقاد بها مقدما تؤثر في حكم الطبيب فتضلله وتضلل المريض معاً .

على أنه لاحاجة لسر العقل الباطن لتعليل التبدلات التي تحدث في زمن اليأس فالسبب فيسولوجي أكثر مما هو بسيكولوجي لان الهرم يصيب الغدد النسائية فيقل افرازها الضروري للتغذية العمومية وللوظائف العصبية . وقلة الافراز تحدث اختلالا يفضي إلى هذا الانقلاب الى ان يتعود الجسم ويعتاض عن هذه الغدد بغيرها من الغدد الصماء التي تعطي الجسم ما قصر عنه المبيض وتعيد اليه النظام .

وللحب حول الخمسين فائدته الصحية اذا قرن بالزواج فقد دلت الاحصاءات أن الجرائم في هذا الدور من العمر اقل عند المتزوجين منها عند العازبين والأرامل وكذلك الوفيات .

لا أقصد بذلك الى وجوب الزواج على كل من بلغ هذه السن فالذي ينفق شبابه في الملاهي وينهك عقله وبدنه ثم يختار فتاة في مقتبل العمر لترافقه فيما بقي من طريق الحياة مجرم في نظري وخير له أن يردد مع الشاعر :

سلام على الدنيا ولذة عيشها سلام غدو أو رواح الى الرمس

واذا كان للحب في الكهولة هذه الفائدة الصحية المحصورة في دائرتها الضيقة فإن اضراره كثيرة لان الافراط في هذا الدور خطر عظيم وعندي أن الأكل بدون جوع او الشرب بلا ظمأ لأخف ضرراً من التهييج الذي لا داعي له . فالجسد

كالمصباح الكهربائي الذي تحمله في جيبك لينير سبيلك في دجى الليل اذا لم تقتصد في استعماله انطفأ قبل حينه ولم يخدمك نوره الى آخر الطريق ٠

وبعض الناس أكثر تعرضاً لهذا الخطر من سواهم كالمحامين والأطباء والسياسيين وكل ذي نفوذ مالي أو اجتماعي بما تعودهم عليه سهولة الحصول على مايريدون من التراخي في مدافعة شهواتهم فتراهم أسرع من غيرهم للخروج من دائرة الاعتدال في الحب ٠ وقد قالت الحكماء : خير الأمور الوسط ٠ الوسط في الثروة وفي الشهوة وفي الصحة وفي الذكاء وفي الغذاء وفي المزاج وفي المناخ فمن عرف الوقوف عند هذا الحد فقد اهتدى الى سر إطالة الحياة على الأرض والله أعلم ٠

هذا ما عن لي ذكره عن شيطان الظهيرة ٠ فهو في الغالب يحمل الى الجسم فوق عبء الأيام عبء الآلام ٠ وقد يكون من الملائكة الساقطين فيذكر السماء حيناً بعد حين ٠

الدكتور

نقولا فياض

أُذيعت في راديو الشرق في ١٢ ايلول سنة ١٩٤١

ابو العلاء والمزدكية

ما سمعت في الأمم الغابرة ولا رأيت في الأجيال الحاضرة رجلاً من العلماء الافذاذ مُني بمثل ما مني به أبو العلاء المعري فقد قضى من العمر ستاً وثمانين سنة صاحبه فيها من المهد الى اللحد ضروب من البؤس والشقاء والمرض والفاقة . وصاحبه فيها صنوف مختلفة من كيد الكائدين وحسد الحاسدين .

ولشدّ ما عرضوه بوشاياتهم الى موارد الهلكة وحرفوا كلمه عن مواضعه ليجعلوه عرضة للأذى والبطش ، وحاولوا أن يطفئوا بأفواههم نور الله الذي أذكاه فيه ، فأبى الله الا أن يتم نوره على الرغم من أنوفهم .

ثم فارق الحياة ولكن الشقوة لم تفارقه في عصر ولا مصر ولا ذنب له الا ذنب صُحر[1] ولا عيب فيه الا سوء حظه أو حظ هذه الأمة ولقد صدق في قوله

تعد ذنوبي عند قوم كثيرة ولا ذنب لي الا العلى والفواضل

وقوله :

لابد للحسناء من ذام ولا ذام لنفسي غير سيء بختها

ترك هذا المسكين للناس دنياهم وأعرض عما فيها من المتع والملاذ وسجن نفسه في كسر بيته وقضى حياته الطويلة في الدراسة والتعليم ، حتى أتى من ضروب العبقرية بما لم تستطعه الأوائل ولم تدرك شأوه فيه الاواخر .

ثم ماذا كان جزاؤه من هذه الامة التي لم تعدم في كل عصر فئة من رجالها تخنق كل فضيلة بيدها وتئد كل عبقرية في مهدها ؟ كان جزاؤه أن قيض الله له فريقاً من العلماء الذين يتخذون من الدين سلاحاً لمحاربة كل نابغ ، ومطاردة

---

(١) صُحر بنت لقمان العادي خرج هو وابنه لقيم في اغارة فأصابا ابلاً وسبق لقيم فأتى منزله فنحرت اخته صحر جزوراً من غنيمته وصنعت منه طعاماً تتحف به أباها اذا قدم فلما قدم لقمان قدمت له الطعام وكان يحسد ابنه لقيما فلطمها ولم يكن لها ذنب . وقد ضرب بها المثل فقيل لا ذنب له الا ذنب صحر . وهذا المثل يضرب لمن عوقب على الاحسان

كل نابه فأخذوا يكفرونه بالشبهة ، ويرمونه بالالحاد والزندقة . بالظن والتوهم ؛ ويؤولون كلامه على ما يوافق أهواءهم وان كان صريحًا في غير ذلك .

ومن أغرب ما رأيته في هذا الباب : وصمه بالمزدكية . ولعل اول من رماه بها الذهبي فانه قال فيه : هو صاحب التصانيف المشهورة ، والزندقة المأثورة ، له رسالة الغفران قد احتوت على مزدكة واستخفاف .

ذكر ذلك الذهبي ولم يفسر لنا المزدكة ولا بين موضعها في رسالة الغفران ثم جاء الدكتور طه حسين فتمسك بهذه الكلمة واوضحها وبنى عليها أحكامًا جائرة على أبي العلاء فقال في تجديد الذكرى (ص ٣٠٠) من الطبيعي اذا اعرض أبو العلاء عن النسل ان يعرض عن الزواج لانه سبيله ولأن فيه شرورًا أخرى ذكرها غير مرة في اللزوميات ... على انه قد نهى عن الزواج نصًا فقال :

فان انت لم تملك وشيك فراقها فعف ولا تنكح عوانًا ولا بكرًا

وذلك جاءه من سوء ظنه بالنساء واعتقاده أن العفة والاحصان فيهن نادرة ولعل هذا الرأي هو المزدكية التي أشار إليها الذهبي .. ونسب شيئًا منهـا الى رسالة الغفران لاشتمال هذه الرسالة على ألوان من إباحة القرامطة يرويها رواية الساخط عليها . وفي اللزوميات مايؤيد ميل أبي العلاء في بعض أطواره الى الاشتراكية في النساء .. وسترى أن مذهب ابي العلاء في الاخلاق لا ينافي هذا الرأي .. ثم قال في مبحث الاخلاق (ص ٣٠٣) ابو العلاء يرى رأي ابيقور [في اللذة] ثم قال : فليس من الغريب بعد ذلك ان يشير ابو العلاء بالاشتراكية في النساء . الى آخر كلامه .

هذا ما فسر به المزدكية التي الصقها بأبي العلاء ولقد رجعنا الى ابن النديم المتوفى نحو سنة ٣٧٨ فرأيناه يقول في الفهرست (ص ٤٧٩) ان مزدك القديم مجوسي في الأصل من الخرَّمية المعروفين بالقطة أمر اصحابه بتناول اللذات والعكوف على بلوغ الشهوات والاكل والشرب والمواساة والاختلاط وترك الاستبداد بعضهم على بعض ولهم مشاركة في الحرم والأهل لا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمنعه ومع

هذه الحال يرون افعال الخير وترك القتل وادخال الآلام على النفوس ولهم مذهب في الضيافات ليس لأحد من الأمم اذا أضافوا الإنسان لم يمنعوه من شيء يلتمسه كائناً ما كان . وعلى هذا المذهب مزدك الأخير الذي ظهر في أيام قباذ بن فيروز وقتله انوشروان وقتل أصحابه وخبره مشهور معروف . ونظرنا في كتاب الملل والنحل لمحمد ابن عبد الكريم الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ فاذا هو يقول (ص ٨٦) على هامش الفصل ج ٢ . مزدك الذي ظهر في أيام قباذ والد انوشروان .. وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ولما كان أكثر ذلك انما يقع بسبب النساء والاموال أحل النساء وأباح الاموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ وحكى انه كان أمر بقتل الانفس ليخلصها من الشر ...

ورأينا ابن حزم يقول في الفصل في الملل والأهواء والنحل (ج ٢ ص ١١٦) وكان مزدك يقول بوجوب تأمي الناس في النساء والأموال .

ورأينا ابن الاثير يقول في الكامل ج ١ ص ١٨٢ في أيام قباذ بن فيروز ظهر مزدك وابتدع ووافق زرادشت واستحل المحارم والمنكرات وسوى بين الناس في الاموال والأملاك والنساء والعبيد والإماء حتى لا يكون لأحد على أحد فضل في شيء البتة . فكان يأخذ امرأة هذا فيسلمها الى الآخر وكذا في الأموال والعبيد والإماء وغيرها من الضياع والعقار وحرم ذبح الحيوان وقال : يكفي في طعام الانسان ما تنبته الارض وما يتولد من الحيوان كالبيض واللبن والسمن والجبن وذكر انه طلب امرأة قباذ ليقضي وطره منها فأجابه الى ذلك فقام ابنها انوشروان وقبل رجلي مزدك وشفع اليه حتى لا يتعرض لامه وله حكمه في سائر ملكه ، فتركها .

هذا ما قاله العلماء في مزدك واذا قايسنا ماعرفناه من احوال ابي العلاء الى ما عرفناه في مزدك تبين لنا ان ابا العلاء يخالفه في تناول اللذات والعكوف على الشهوات وأكل ما يتولد من الحيوان وادخال الآلام على النفوس وقتلها لتخليصها من الشر ، والاشتراك في الاموال الا بقدر معين في الشرع ونحو ذلك ، ولم يوافقه الا في فعل الخير وترك القتل والنهي عن المباغضة . وهذا مما جاءت به الشريعة الاسلامية بل الشرائع السماوية كلها .

وقد ذكرنا أن الذهبي لم يفسر المزدكة وان الدكتور فسرها بالاشتراك في النساء والإباحة ، وهذا تقوّل على أبي العلاء ومن استقصى كلامه في اللزوم وغيره يتضح له منزلة هذا القول من الحقيقة ويتبين له أن ابا العلاء أشد الناس غيرة على المرأة ، وأكثرهم تشدداً عليها وأوفرهم حرصاً على ابعادها عن مواطن الريبة وان افراطه في الغيرة عليها ، والحرص على عفافها حمله على الخروج عن آداب الشريعة الاسلامية والاسراف في الارتياب فيها ، فهو لا يريد أن تتعلم المرأة القراءة والكتابة

علموهن الغزل والنسج والرد ن وخلوا كتابة وقراءة

فصلاة الفتاة بالحمد والاخ لاص تغني عن يونس وبراءة

وانما نهى عن تعليمها ذلك غيرة عليها لأنها :

تهتك الستر بالجلوس أمام الس تر ان غنت القيان وراءه

وهو يعتقد أن المرأة في طبيعتها كالسهم القاتل والتعليم كالسم لها لانه يبصرها بما لم تكن تراه ويدلها على مالم تكن تعلم من أنواع الشر والفتن

ولا تحمد حسانك ان توافت بأيدي للسطور مقومات

فحمل مغازل النسوان أولى بهن من اليراع مقلمات

سهام ان عرفن كتاب لسن رجعن بما يسوء مسممات

واذا لم يكن بد من تعليمهن فليقتصر على تلاوة القرآن على عجوز تقية فان عيب اللحن اهون من عار الفتنة .

ليأخذن التلاوة عن عجوز من اللائي فغرن[1] مهتمات

يسبحن المليك بكل جنح ويركعن الضحى متأثمات

فما عيب على الفتيات لحن إذا قلن المراد مترجمات

وأما الرجال فلا يسوغ الاقتراب منهم الا اذا كان الرجل هرماً ضعفت منته وخارت قوته ، وأمنت فتنته ، ولو كان أعمى فان الشهوة بصيرة

ولا يدنين من رجل ضرير يلقنهن آياً محكمات

سوى من كان مرتعشاً يداه ولمته من المتثغمات

(١) كذا في الأصل ولعله تغرن .

ويرى الصلاة في بيتها افضل من المسجد خشية عليها من الفتنة

اذا ما رامت الصلوات خود فكنْ البيت افضل مسجديها

ولا يرى الحج فرضاً عليها حذراً من الاشرار عليها وسواء في ذلك الصغيرة والكبيرة فان لكل ساقطة لاقطة

أقيمي لا أعد الحج فرضاً على عجز النساء ولا العذارى

ففي بطحاء مكة شر قوم وليسوا بالحماة ولا الغيارى

وربما كانت تقيم الشعائر والغواة ينصبون لها الحبائل

ولكن جاءت الجمرات ترمي وأبصار الغواة الى يديها

وليس محمد فيما اتته ولا الله القدير بمحمديها

وليس الرجل في اعتقاد ابي العلاء باحسن حالا من المرأة بل هما فرسا رهان يتباريان في الشر والفتنة فهو يخاف على المرأة من الرجل بقدر ما يخاف على الرجل منها لأن الجبلة واحدة والطبع واحد ؛ فربما اغوته ان لم يغوها وعلى هذه القاعدة لا يأتمن اخا الرجل على حرمه

اذا امنت على مال اخا ثقة فاحذر اخاك ولا تأمن على الحرم

فالطبع في كل جيل طبع ملأمة وليس في الناس مجبول على الكرم

ولا يأمن الوليد عليهن مخافة ان يغوينه او يغويهن

إذا بلغ الوليد لديك عشراً فلا يدخل على الحرم الوليد

فان خالفتني وعصيت نصحي فأنت وان رزقت حجى بليد

الا ان النساء حبال غي بهن يضيِّع الشرف التليد

وقد اشتد في النهي عن خروجها الى الحمام

أعوذ بالله من ورهاء[1] قائلة للزوج اني الى الحمام احتاج

لأنها قد تخدعه بذلك

وهمها في امور لو يطاوعها كسرى عليها لشين الملك والتاج

وامر بضربها اذا خرجت الى العراف او المنجم وبمواثبتها اذا ابدت زينة يديها وبفراقها اذا كشفت عن ساقها ٠

(١) حمقاء ٠

اذا ابتكرت الى العراف فاعرف مكان عصا تصك به قراها(١)
وساورها(٢) اذا ابدت سواراً وبارئها(٣) متى كشفت بُراها(٤)
وحذرها المنجم فهو ذئب تشوقه الضوائن(٥) ان يراها
فان هي لم تجبه الى قبيح تحلبها المنافع وامتراها

ونهاها عن مجالسة ابن الزوج والختن

لا تجلسن حرة موفقة مع ابن زوج لها ولا ختن(٦)
فذاك خير لها واسلم للانـ ـسان ان الفتى مع الفتن
ودم على غيرة الصبا ابداً ولا تعد في الشراب ثم تني

كما نهى عن شهودها الأعراس

نصحتك يا ام البنات لحاذري وساوس ولاج الاساود خناس
ولا تلبسي الحجلين بنتك والبرى لتشهد عرساً واشغليها بعرناس(٧)

وعن مجاورة الجارة

فنزه ناظريك عن الغواني واكرم جارتيك عن الحوار

وعن النظر اليها

اذا قصر الجدار فلا تشرف لتنظر ما تستر في الجدار

والى الغاديات الى الكنائس

فلا تتعرض في طريقك ناظراً نساء النصارى غاديات الى الكنس

وعد الرجل الذي يجمع في بيته الندامى والمغنين غير حازم اذ قد يترتب على عمله فتنة

لعمرك ما زوج الفتاة بحازم اذا ما الندامى في محلته غنّوا
أتى بيته بالراح أو الشَّرْب لاهياً فاما رنوا(٨) نحو الظعينة او زنّوا(٩)

(١) ظهرها (٢) واثبها او تناول رأسها (٣) فارقها او صالحها على الفراق
(٤) جمع بُرَة : الخلخال (٥) جمع ضائنة : الشاة من الغنم يريد بها المرأة
(٦) جاء الختن لمعان منها : زوج البنت وكل من كان من قبل المرأة كالأب والاخ
(٧) العرناس : موضع سبائخ قطن المرأة والسبيخة قطعة من القطن تسخ بعد الندف اي تلف لتغزل (٨) رنا اليه : أدام النظر (٩) زنّى تزنية نسب الى زنى .

وعد المرأة التي لا تقتصر على زوج شرعي شر النساء لانها مضيعة للأولاد

شر النساء مشاعات غدون سدى كالارض يحملن اولاداً مشاعينا
والامر لله كم أودى فتى ومضى عينا وخلف اولاداً مضاعينا

واعتد النكاح بغير مهر [السفاح] من اضمحلال الدين

قد اصبح الدين مضمحلا وغيرت آيه الدهور
فلا زكاة ولا صيام ولا صلاة ولا طهور
واعتاض حل النكاح قوم بنسوة ما لها مهور

ومن انقلاب الزمان طلب المرأة الزوج وبذل المهر منها

قلب الزمان فرب خود تبتغي زوجاً وتبذل غالياً من مهره

وجعل خير النساء من تصون نفسها من العار

وخير النساء الحاميات نفوسها من العار قبل الخيل تحمي ذمارها

هذا قلٌّ من كثر من كلام ابي العلاء يمثل لنا غيرته على المرأة وارتيابه فيها وحرصه على عفافها وطهارتها ؛ فأين المزدكية أوالاباحة التي زعمها الذهبي والدكتور؟ بل كيف تتأتى نسبة ذلك اليه وهو على مارأيته من تشدد وامراف في الحفظ على كرامتها ؟

أما القرامطة فقد بين ان غرضهم خدع وتعليل وتوصل الى المملكة وتضليل ولعن بعض رؤسائهم وكفره في ص ١٤٥ من رسالة الغفران ولعن الجنابي في ص ١٤٧ وفضل الجاهلية عليهم في اللزوميات حيث يقول :

ما للمذاهب قد أمست مغيرة لها انتساب الى القدّاح او هجر
قالوا البرية فوضى لاحساب لها وانما هي مثل النبت والشجر
فالجاهلية خير من إباحتهم سجية الحادث الحراب او حجر
فما أفادوا سوى احلال نسوتهم معرضات لأهل الباطل الفجر
وان احسن من تعظيمهم رجلا صفرا من الحكم التعظيم للحجر

وجعل تحكمهم في الناس من العكس الذي مني به البشر

عكس الأنام بحكمة من ربه فتحكم الهجري فيه وسنبر

وبين غرضهم من مذهبهم بقوله من أبيات

انما هـذه المذاهب اسبا ب لجذب الدنيا الى الرؤساء

غرض القوم متعـة لا يرقو ن لدمع الشماء والخنساء

كالذي قام بجمع الزنج بالبصـ رة والقرمطي بالاحسـاء

فانفرد مااستطعت فالقائل الصا دق يضحي ثقـلا على الجلساء

ولقد فتشت في رسالة الغفران فلم ار فيها ألوانًا من اباحة القرامطة وانما رأيت فيها لونًا واحداً وهو انه كلما ذكر واحداً منهم لعنه ومن الغريب ان الدكتور يذكر ان فيها ألوانًا من اباحتهم يرويها المعري رواية الساخط عليها ثم يجعلها مما يستند اليه في نسبة الاباحة الى أبي العلاء .

وتتبعت كثيراً من أقوال المعري وآرائه ومذاهبه في الأخلاق فلم أر في شيء منها مايدل على ميله الى الاشتراكية في النساء اومايشير اليه وانما كل ما وجدته في اللزوم من جنس ما ذكرته ولولا خشية الإطالة لأوردت كل كلامه في ذلك

وليس من المعقول أن يتشدد أبو العلاء في حجاب المرأة ويسرف في الارتياب منها ويحظر عليها ما اباحه الاسلام لها من شهود الحج والصلاة والتعلم ونحوها ويبالغ في حجبها عن مخالطة الولد والختن والذهاب الى الحمام والعراف والخروج الى سطح الدار وما شاكل ذلك ويفرط في الغيرة الى حد لم يبلغه غيره . كل ذلك غيرة عليها وحرصاً على كرامتها وضنًا بعفافها ثم يقال بعد دلك انه يميل الى الاشتراكية فيها او يشير اليها ان هذا لشيء عجاب .

فهل للاستاذ الدكتور ان يرشدنا الى اقواله في رسالة الغفران او ابياته في لزوم مالا يلزم التي تثبت ميل المعري الى ذلك وتؤيد مازعمه فيه فنكون له من الشاكرين

على اننا لا نعجب من تسرعه في الحكم واسرافه فيه على ابي العلاء واستنباطه من كلامه مالا يريده ولا تدل عليه فحواه فان له كثيرا من هذا النوع في ذكرى ابي العلاء وتجديده .

من ذلك انه في ص ٣٠٠ تجديد . اورد للمعري أبياتاً يصف فيها النساء منها قوله

ودفن والحوادث فاجعات لاحداهن احدى المكرمات
وقد يفقدن أزواجاً كراماً فيا للنسوة المتأيمات

ثم قال بعد ذلك . فانظر كيف بالغ في ذلك حتى استحسن من وأد البنات ماحرم الله ونهى عنه الدين .. الى آخر كلامه

ولقد فتشت في هذين البيتين وفي الأبيات التي قبلها فلم ار ذكراً للوأد وانما وجدت « ودفن » . والدفن غير الوأد تقول دفنت الشيء اذا اخفيته تحت اطباق التراب كما في المصباح ودفن الميت واراه واما الوأد فهو دفن الانسان حيّاً تقول وأد ابنته اذا دفنها حية هذا هو المشهور المعروف في عرف اللغة والشرع .

وقول ابي العلاء ودفن .. لاحداهن احدى المكرمات مقتبس عن حديث مروي عن النبي [ص] دفن البنات من المكرمات اي من الخصال التي يكرم الله بها آباءهن لأن البنت ضعيفة كثيرة المؤونة وقد تجر العار وتجلب العدو الى الدار وليس مراد النبي [ص] بقوله هذا الدلالة على كراهة البنات بل اخرج ذلك مخرج التعزية للنفس والحديث عده السيوطي صحيحاً وتكلم فيه غيره وليس هذا موضع تحقيقه وانما غرضنا ان نبين ان المعري لم يستحسن ما حرم الله ولا أتى بما يخالف كلام رسول الله فلا نعلم كيف استباح الاستاذ الدكتور لنفسه ان يحمل كلام المعري على مالايريده ولا يدل عليه صريحه ثم يرميه بالكفر واستباحة ماحرم الله تعالى وقد بينا كثيراً من مثل هذا في كتابنا المسمى بالتعريف بأبي العلاء . وسننشر طائفة منه كلما سنحت لنا فرصة ان شاء الله تعالى .

سليم الجندي

افتتاح موسم المحاضرات

في المجمع العلمي العربي

لعام ١٩٤١ — ١٩٤٢

اعتاد المجمع العلمي العربي أن يتخذ أصيل يوم من أيام كل اسبوع محاضرة علمية يدعو اليها أهل الفضل والادب ويبتدئ موسم هذه المحاضرات في شهر تشرين الثاني وينتهي في شهر حزيران من كل عام . وقد كان موعد افتتاح محاضرات هذه السنة يوم الجمعة في ٧ تشرين الثاني . وتفضل فخامة رئيس الجمهورية الشيخ تاج الدين الحسني بأن يرعى بعنايته السامية هذه الحركة العلمية . فترأس هذه الحفلة بشخصه الكريم يحف به دولة رئيس الوزراء المعظم السيد حسن بك الحكيم . ومعالي وزير المعارف السيد فيضي بك الأتاسي . ومعالي وزير العدلية السيد زكي بك الخطيب .

واستقبل رئيس المجمع العلمي فخامة رئيس الجمهورية وهيئة الحكومة بالكلمة الآتية :

يا صاحب الفخامة

يسر المجمع العلمي العربي أن يستقبل دورة محاضراته تحت رعاية فخامتكم وقد نالت سورية استقلالها المنشود ، وكله آمال ان يكون العهد الجديد خيراً كله للبلاد .

واذا احتفى المجمع العلمي بفخامتكم فانما يحتفي برجل كان يسارع الى حضور محاضراته منذ أول تأسيسه ويشارك أعضاءه في رغائبهم ويعطف عليهم وعلى عملهم فأنتم اذاً من أعرف الرجال بالمجمع وبما يصلحه .

ولقد شهدتكم ، شهد الله ، وانا اعمل معكم في وزارتكم الاولى أربع سنين كيف كان وجهكم يطفح سروراً كلما قام في الدولة مصنع جديد ، وما أنس

لا أنس ما فهتم به مرات لما قامت مدرسة تجهيز دمشق ودار حكومة حلب وجسر الفرات الذي ربط الشام بالجزيرة ، وما كان يبدو من عنايتكم عند البداءة بانشاء تلك المدارس ودور الحكومة والطرق المعبدة وسائر المرافق .

فهل لكم اليوم ، وبيدكم أقدار هذه الديار ، ان تقلدوا تلك الاعمال المجيدة قلادة جديدة يخلدها لكم التاريخ في صفحاته الأزلية ، واعني بذلك انفاذ مشروع قديم للمجمع كان يجهر بفائدته بل بضرورته منذ أسس عام ١٩١٩ وأقل ما يعظم به النفع منه دفع خطر الحريق عن مجموعاته وكتبه وتهيئة أماكن صالحة صحية للدارسين والباحثين في غرفه وأبهائه ، وذلك باظهار المدرستين العادلية والظاهرية بمظهر يليق بمدينة كمدينة دمشق . والظاهرية والعادلية بقية زهاء ثلثمائة مدرسة دارسة كانت مفخرة من مفاخرنا .

اذا صدر أمركم العالي واستملكت العقارات المحيطة بمدخل المجمع منذ باب البريد فجرى توسيع هذا الزقاق الضيق ورفعت هذه البيوت الكئيبة التي أفسدت هواء هاتين المدرستين وشعثت رواءهما وبهاءهما ثم رمم بناؤهما حسب التصميم القديم يكون ذلك مقدمة الى تفريغ ما حوالي الجامع الأموي وانقاذه من خطر الحريق فقد حرق سبع مرات كانت النار تسري اليه من الأسواق المحيطة به على الاكثر

اذا فعلتم يبدو أعظم جامع في الاسلام فتنة للناظرين من داخله وخارجه ،وتأمن الظاهرية من خطر النار كل ساعة لأنها في جوار قمين وفرن ، ان نجت من نار الأول فقد لا تنجو من نار الثاني . ويسلم قراء دار الكتب ومستخدموها من عنت الدخان الذي يضيق الانفاس كل يوم من هذا القمين .

بهذا العمل تسجلون لكم مأثرة جليلة تحرزون بها رضا العلامة الاستاذ والدكم فانه رحمه الله كان كثيراً ما يخشى على مجموعة الحديث التي ضمتها جدران الظاهرية لعلمه بأنها اعظم مجموعة في العالم ويرجو ان تهيئ الأيام من يحييها بالطبع خدمة للاسلام والمسلمين .

هذه أمنية المجمع العظمى عرضتها على نظركم العالي وبتحقيقها تسدون للعلم

والفن الاسلامي منة كبرى وفقكم الله لما فيه سعادة هذه الجمهورية بمنه ويمنه

وبدأ فخامة الرئيس يجيب على هذا الترحاب والرجاء فقال مرتجلاً :

يا معالي الرئيس . !

ألسنا هنا في عرش أمية ، الذي طأطأ العالم رأسه بين يديه ؟

ألسنا في الينبوع المقدس ، الذي تدفقت منه أنهار الحضارة والأخلاق الى انحاء الدنيا الغارقة في الظلمات ، فغمرت عقول الناس بالنور ، وقلوبهم بأنبل الشعور ؟

ألسنا في المجمع الخالد ، الذي لم يطلق عليه اسم «البانثيون» ، ولكنه ضم هنا وهناك بقايا ملوك وزعماء ووزراء وعلماء ، كانوا آيات العبقرية وعناوين الزمان !.

فاسمح لي يا معالي الرئيس وانا في موقفي هذا وتطوف بي ذكريات تاريخنا المجيد ، ان اقف خاشعاً وان ادعوكم جميعاً الى الوقوف خاشعين ، وان اطلب منكم خلال هذه الدقيقة الملهمة ان تفكروا في شيء واحد : في ماضينا العظيم ، وفي رجالنا الخالدين الذين عظمونا في عيون العالم .

لقد فكرتم بالرجال الذين اعزوا البلاد بعد ذل ، وعلموها بعد جهل ، واستطعتم ان تتصوروا في هذه اللحظة ما كان لنا من مجد وعظمة ، فاذا دعاني معالي الرئيس الى استبقاء هاتين المدرستين ، وتجريدهما من هذا الاطار الفقير الذي غمر رواءهما وبهاءهما ، لنحتفظ بقطعة من تراثنا الضخم ونجد فيهما رائحته فانا اقول له : سنعمل لهذا بالقدر المستطاع ، فكل ما يعني مجد البلاد وتاريخها يعنينا !

ولكنني ادعو اليوم الى عمل اكبر واعم وانفع ، ادعو ابناء البلاد الى ان ينذروا مواهبهم وقواتهم متحدين متكاتفين في سبيل تأسيس دولة جديدة ، ننشئ فيها كما كان آباؤنا ينشئون ، ونكتب في صفحات التاريخ مثلما كانوا يكتبون ، فنحن لا نريد ان نعيش من الذكرى ، ولكننا نريد ان تعيش الذكرى بنا ، فلا يقال كان لهؤلاء آباء ! وانما يقال : هؤلاء هم الناس وكانت لهم آباء !

أيها السادة :

لقد شاء الله سبحانه وتعالى ان تنعم أمتنا في مرحلة من ادق المراحل التي يجتازها العالم بنعمة السيادة والاستقلال ، وكل واحد منا مسؤول عن هذه النعمة مدعو الى حمايتها ، وويل لمن يريد ان يضيعها .

أما الوسيلة الى توطيد دعائم السيادة والاحتفاظ بمظاهر الاستقلال فهي الاخلاق الحميدة والثقافة الفاضلة ، وانه ليسرني كثيراً ان اعلن الآن افتتاح موسم المحاضرات في المجمع العلمي العربي متمنياً له التوفيق في عمله الثقافي والاخلاقي .

واذا كانت العادة ان تختتم الخطب في الحفلات السياسية بكلمة عاشت سورية مستقلة ذات سيادة !

فأنا أضيف الى هذا الهتاف — وقد رأيتكم تتنادون الى حلقات العلم ومجامع الفضيلة — قائلاً :

عاشت سورية المثقفة المهذبة ! وعاش رجالها العلماء ! . اهـ

وقد ظهرت خلال خطاب الرئيس الأول البهجة على وجوه الحاضرين من وعده الكريم بعمل مافي وسعه لتحقيق هذه الآمال ، وما فرغ من خطابه حتى تقدم معالي رئيس المجمع العلمي اليه شاكراً همته وحسن وعده ثم عاد الى منصة الخطابة فألقى المحاضرة الآتية :

ارشاد العامة

لو كان من وكل اليهم هداية العامة يؤمنون حقاً بما يعظون لأثرت اقوالهم التأثير المطلوب ولقلّ معظم ما نراه من شرور . الدين يقوّم المعوج ويطهر النفوس ، ولكن اذا آض الى ايدي من لا يحسنون استعماله يصبح عبارة عن رسوم وشعائر لا تدخل الصميم .

نرى المصلين في الجوامع الى اليوم ليسوا بقليل عددهم ، ولكن هل عملوا كلهم

يا ترى بما يتلون وما يتلى عليهم ؟ هل هدتهم صلاتهم الى ان الله تعالى حرم عليهم الكذب والسرقة وأمرهم بالصدق والأمانة ؟ ابحثوا في شؤون هؤلاء المستهترين ، هل ترون اكثرهم عمل بقليل مما امره به الدين ام هو مسلم جغرافي ، ومسلم تشهد باسلامه تذكرة النفوس فقط .

ارجو الا اتهم بالمبالغة او باستعمال الاسلوب الخطابي ولا اطلب ممن يتهمني بذلك الا ان ادعوه ليحتك بالسوقة والمرتزقة والتجار والفلاحين فيشهد العجب من أخلاق بعضهم . نري السارق يسرق بدون نكير والكذاب يكذب ولا يخجل ، وهناك سلسلة من التزوير والتغرير ، ولو أردنا تصفية أبناء كل حرفة من لوثاتهم ما ثبت على محك النقد الا افراد قلائل في كل قرية وفي كل حي ومنزلة

تدبروا أخلاق اكثر اهل القرى وأخلاق اهل المدن تروا بعض الفلاحين والمدنيين سواء في الفساد وضعف الأخلاق ، لا تكاد تجد الأمين المؤتمن الا نادراً ، وكان الأجداد على عكس ذلك تغلب الفضائل النفسية على السواد الأعظم منهم في الجملة . واكثر من تعتقدون اليوم فيهم الأمانة يسرقونكم متى آنسوا منكم ضعفاً او غفلة ، اما الكذب فلم يسلم منه الا من عصم ربك ، واما الغش فما أظن المانع لبعضهم من الاسترسال فيه الا علمهم بأن اشتهارهم به يؤدي الى قطع ارزاقهم .

أمثل لكم بمثال واحد أثبت به ما أقول ، وهو تحت نظرنا كل ساعة وكل يوم ، انظروا نظر النقاد في البياعات والحاجات هل تجدون أشياء كثيرة سلمت من الغش يغشون في الكيل والوزن وفي القياس والذرع ، واكثر مواد الغذاء مغشوشة فالغش يدخل الخبز واللحم والسمن والزيت والزبد والقشدة والجبن والدبس والعسل واللبن الرائب واللبن الحليب وماء الزهر وماء الورد . واذا أرادت الحكومة ان تسيطر على العامة والمرتزقة قد يشترك من تنصبه لذلك مع الغشاشين فيزيد لص كبير الى اولئك اللصوص الصغار ، وهذا المسيطر قد يكون ممن يحمل شهادة أطول من قامته ولكن نفسيته دنيئة . معظم ما يعمل في السوق وفي خلوة مغشوش :

الأدوية مغشوشة في الصيدليات والقهوة والمرطبات مغشوشة والحلويات مغشوشة والالوان المطبوخة مغشوشة . وارباب المدارك من المستهلكين يعلمون هذا ولا يستنكرونه لأنهم هم أيضاً مشاغيل بغشهم ومنهم لصوص في ثياب تجار أو زراع أو صناع .

كان اكثر العامة منذ نحو خمسين سنة يبتعدون عن الغش في الوزن والكيل وعن غش المائعات والسائلات وما كان الفلاح يجوز لنفسه غش اللبن غالباً لأنه كان يعتقد ان الله تعالى يجازيه على فعلته بهلاك بقرته او عنزته او نعجته ، وما كان يجب أن يُخسر الكيل والميزان لأن الله له بالمرصاد يعاقبه في الدنيا قبل الآخرة فيفجعه بأولاده ، ويرزؤه بصحته او دابته ، ويسلط الاقوياء عليه ينهبونه ويسرقون ما ادخر من مال ومؤنة ، او يسلط عليه آفة تأتي على الأخضر واليابس مما جمع . كان هذا الاعتقاد نافعاً جداً في دفع الأذى يساعد المحتسب على القيام بانفاذ قانونه على الناس في يسر وسهولة ، والمحتسب بمثابة رئيس البلدية ومدير الشرطة والصحة اليوم . اما لعهدنا هذا فقد تفلسف بعض العامة بل ألحدوا وتزندقوا فظلوا مسلمين يصلون ويصومون ولكنهم يسرقون ويفحشون في سرقاتهم . وهذا مما ينذر بسوء المصير .

انا كلما زدت معرفة بهذه الطبقات يسوء ظني بالمستقبل واعزي نفسي بأن الأخلاق قد تتردى في عهد الحروب والغوائل ولا بد أن تتحسن متى انجلت الغمرة وزالت الشدة ، ولطالما تمنيت لو قاسمني السارق برضاي ما يريد ان يسرقه مني في سر ، وكثيراً ما قلت لهؤلاء الفلاحين وغيرهم اذا طمعت أنفسكم في أخذ شيء من اشيائي قولوا لي وانا أنزل لكم عن بعضه برضاي فتأخذونه حلالاً طيباً ولا تطمعوا في أخذ شيء بدون علمي فأنا لا أريد ان استرقع واستحمق . ولطالما قلت لبعض أرباب الصناعات خذوا اجرة حسنة على ان تعاهدوني الا تسرقوا شيئاً في غيابي ، ولكن نفوس أهل هذه الطبقة زُين لها الربح من أي طريق أتى . ولكم كنت اعطي العامل واكرمه وكلما زدت في اكرامه استضعفني وغلا في نهبي .

لا ألوم من لا تدرك عقولهم الا المنفعة المعجلة وعقولهم في عيونهم كما يقال ، وقد تجردوا من الفضائل الكسبية والفطرية ، بقدر ما ألوم من يجيئون في طبقة أرقى من طبقتهم وهم مناط الرجاء في الهيمنة عليهم .

رأيت هؤلاء الغشاشين باعة وتجاراً يجمعون اموالاً ويبنون حوانيت وبيوتاً ويقتنون مزارع وحدائق ثم يبدد كل ما جمعوه بأدنى عارض فكنت احمد الله على ذهاب اموال جمعت بالسحت وبالغش وأجد ذلك عقوبة عادلة لهم . رأيت ثروات من احتكروا أصنافاً من القوت في الحرب الماضية تتمزق شر ممزق ، وكذلك سيكون مصير أموال من تجردت نفوسهم من كل شفقة واحتكروا في هذه الحرب تلك الأصناف ولكن الناس لا يعتبرون .

والآن ماذا يجب ان يعمل لإصلاح هذا الفساد المستشرى او تخفيف ويلاته على الأقل ، هنالك ثلاثة عوامل تفيد في تقليم اظافر الفاسدين وتعيد الى المجتمع صفوه الذي كان له في الدهر السالف . العامل الأول تطبيق القانون على من يعبثون بحقوق الخلق بدون مسامحة ولا هوادة فان قوانيننا الشرعية والوضعية كفيلة بالسعادة ، لو جرى تطبيقها على ما يجب ما احتجنا بعدها الى وازع آخر . الا أن المسألة تتوقف على انفاذ تلك القوانين ، والقوانين تغني غناءها بالتطبيق لا بجمال مادتها وانسجام عبارتها . وفي بعض الآثار : يزع السلطان اكثر مما يزع القرآن (أي ان من يكف عن ارتكاب العظائم مخافة السلطان اكثر ممن تكفه مخافة القرآن والله تعالى) ولا بد من تضييق خناق المسيطرين على القوانين في ارشاد العامة الى الجادة وان يطرد المتساهل من عمله ولو كان يعد من الرؤساء فالسمكة تنتن من رأسها كما يقول الأتراك في امثالهم ، والتفتيش يجب ان يتناول الكبار قبل الصغار ، فبأيديهم تسير مصالح الناس سيراً حسناً او تتلوى وتزيغ .

والعامل الثاني الخطباء والوعاظ فهؤلاء من واجبهم ابداً ان يبينوا للفاسدين مغبة عملهم على انفسهم وعلى الجماعة ، يقولون ما يقولون لهم عن عقيدة لا كلاماً لا يتعدى أطراف الشفاه ، يختلطون بالناس وينوعون الأساليب لمن يهم المجتمع ارجاعهم

الى الطريق السوي ، ويخاطبونهم باللغة التي يفهمونها ، ويدلونهم من طريق العقل والنقل الى كل مافيه صلاح نفوسهم والبعد بها عن الكذب والخديعة .

والعامل الثالث وهو الاهم قيام الامة على اختلاف طبقاتها بهداية الضالين وتذكيرهم بحقيقة دينهم ومصالح دنياهم ومقاطعتهم اذا سرقوا وكذبوا وان يبينوا لهم السبب الذي من اجله قاطعوهم ، وعلى الصالحين ان يعتقدوا انهم بعملهم هذا يقومون بواجب مقدس ، واذا هم رحموا حيث لا تحلّ الرحمة تضيع حقوقهم وحقوق غيرهم ، وعليهم ان يعتقدوا ان واجب كل انسان ان يعتقد اعتقاداً جازماً انه هو القانون وهو الحكومة ، وانه متى تهاون فيما يرى ويسمع من منكر ولم يتقدم لاصلاحه يعد خائناً لأمته وخائناً لنفسه ، فان الفرد في معظم الأمم الراقية في الغرب يعاون الحكومة في مهمتها ويعتقد انه اذا لم يهيمن بنفسه على من يخرق قوانين بلاده يعد شريك الجاني والمجرم .

وهذا العامل الثالث من أشد العوامل الناجعة في هداية الزائغين من العامة ، خصوصاً اذا أوهم الخواص العوام انهم ليسوا أرقى منهم كثيراً ، وان بينهما درجة اذا صعدوها ماثلوهم في المجتمع وكانوا موضع الرعاية والحرمة . ولا يؤلم العامة اكثر من احتقارهم . ومن هنا جاء حسد الفقراء للأغنياء ، واعراض الجهلاء عن العلماء ، وغيرة الضعفاء من الأقوياء .

اذا اجتمعت هذه العوامل الثلاثة وعملت باخلاص وجد ينصلح الجزء الاعظم من الأمة وباصلاحه ندخل في طور جديد ونحمد غبّ القوانين المرعية ، واذا بقيت كما هي اليوم عادت كعلم جابر اقرأ تفرح جرّب تحزن . ومن كان صلاحه بيده وهو يهمله لا يبالي فأنذره بمصير من يعلمون ولا يعملون . اه

ولما انتهى من المحاضرة خرج واعضاء المجمع العلمي العربي مودعين فخامته ودولة رئيس الوزراء وصاحبي المعالي وزير المعارف والعدلية متمنين ان تحقق همة فخامة الرئيس وسعي هيئة الحكومة ذلك الوعد الكريم وفقهم الله .

شرح مختصر القدوري

المسمى خلاصة الدلائل فى تنقيح المسائل

اقتنيت منذ سنوات كتاباً مخطوطاً في الفقه مخروم الأول ولعل النقص فيه لا يتجاوز الكراسة الأولى التي تحتوي على كتاب الطهارة وباب التيمم وقسم من باب المسح على الخفين الذي تبتدئ نسختنا هـذه بالقسم الباقي منه ثم تليه الأبواب الأخرى .

ويستشهد الشارح بأقوال الإمامين أبي حنيفة والشافعي الا إنه يقول أولا قال الشافعي ثم يردفه أحياناً بقول أبي حنيفة او أئمة الحنفية الآخرين .

وابحاث الكتاب مختصرة بقدر الامكان بيد ان الايجاز فيها لا يخلّ بالمعنى ولا يؤثر في الموضوع .

وليس في آخر الكتاب ما ينم على اسمه او اسم مؤلفه غير انني وجدت في نسخةٍ مخطوطة في خزانة كتبي من مختصر القدوري تعليقات بحروفٍ دقيقةٍ منقولةٍ عن «خلاصته» وهذه التعليقات فيها بعض مافي النسخة التي نبحثها الآن فترجح لي ان هناك شرحاً بذلك الاسم وبالرجوع الى كشف الظنون عن الكتب والفنون لملاّ كاتب جلبي ألفيته يقول :[1]

وشرحه (اي مختصر القدوري) حسام الدين على بن احمد مكي الرازي وسماه «خلاصة الدلائل في تنقيح المسائل» وتوفي سنة ٥٩٨ ثمان وتسعين وخمسمائة وهو شرح مفيد مختصر نافع وعليه ثلاث تعليقات لابن صبيح أحمد بن عثمان التركماني الأولى في حل مشكلاته والثانية فيما اهمله من مسائل الهداية والثالثة في احاديثه والكلام عليها وتوفي سنة ٧٤٤ وسماه الطرق والوسائل الى معرفة احاديث خلاصة الدلائل . وقد جاء في آخر هذا الشرح ما يلي :

«فهذا آخر ما انتهينا اليه وقد وفينا بما ضمنا والله المستعان واليه الرغبة في

---

(١) كشف الظنون ج ٢ ص ٦٠٣

العفو والغفران والتجاوز والامتنان انه الكريم المنان والحمد لله رب العالمين »

ثم جاء الناسخ وعقب على ذلك بقوله :

وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب المبارك يوم الاربعاء ثامن عشر شهر صفر من شهور سنة ست وستين وسبعمائة . نسخه بيده لنفسه العبد الفقير الى الله تعالى الكثير العصيان الراجي من ربه العفو والغفران علي بن طاجي (كذا) بن عبد الله الحنفي مذهباً المسلمي ملبساً [1] غفر الله له ولوالده ولمن دعا له بخاتمة خير وجميع المسلمين . آمين يا رب العالمين) .

وعلى صفحات عديدة من هذا الكتاب شارات سماع وتطبيق مثل بلغ . وبلغ وصح . وبلغ في الأصل وبلغ وصح من الأصل . ولكن الكتاب لم يذيل كأمثاله بالسماع التطبيقي المعتاد توقيعه من قبل الشيخ المستمع حيث يذكر اسم الكتاب ومؤلفه واسم مسمع الكتاب أي قارئه على المقروء عليه الذي يجيزه بعد ذلك باقرائه وبرواياته ومنقولاته ويذكر في الغالب اسماء الحضور من العلماء ولذلك فقد اختفى علينا اسم المسمع والمستمع وتاريخ السماع .

وفي الصفحات الأخيرة وصف لحادثة اغتصاب واضراب وقعت بحماة سننشرها على حدة ويظهر من عبارة منسوبة الى عبد الباسط بن خليل بن شاهين من علماء القرن التاسع [2] انه كان يملك هذا الكتاب فان الورقة المحتوية على تلك العبارة هي آخر ورقة من الكتاب وقد كتبت بحبر أحمر وهذا نص العبارة المذكورة :

---

(١) اغلب الظن ان المسلمي هي طريقة صوفية كان ينتسب اليها الناسخ حيث يقول المسلمي ملبساً من لبس الخرقة الصوفية التي يلبسها المرشد للمريد .

(٢) ترجم شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ هـ ١٤٩٦ م لعبد الباسط المذكور فقال ما ملخصه : عبد الباسط بن خليل بن شاهين الشيخي الأصل الملطي [لعلها الملطي الأصل فجاءت مقلوبة بالتقديم والتأخير] ثم القاهري الحنفي نزيل الشيخونية ولد في رجب سنة ٨٤٤ بملطية ونشأ بها وبحلب ودمشق وقرأ على علمائهما وعلى جماعة من فضلاء الروم كالعلاء الرومي قاضي العسكر في دمشق والبرهان البغدادي في طرابلس وقدم القاهرة ولازم العلماء فيها فأجازوه ودخل المغرب ودرس فيها درس الطب بل اتقنه بخصوصه مع جماعة وبرع في كثير من الفنون وألف ونظم ونثر وأقبل على التاريخ وتردد الي له ولغيره من الدروس » الضوء اللامع لأهل القرن التاسع

« يقول الفقير الى رحمة القدير عبد الباسط بن الوزير عفا الله عنه هذا آخر ما قصدت بشرح الكتاب وقد وفيت بما ضمنت والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

« وكان ابتداء جمعي لهذا الشرح الوافي في أوائل ذي القعدة الحرام عام اربع وستين وثمانمائة بدمشق المحروسة فلما وصلت الى باب الجنايات عرض لي سفر الى القاهرة المحروسة فابتدأت بتعريف الجنايات الى أن كمل بها في يوم الخميس ثالث شهر الله المحرم الحرام من مفتتح شهور سنة ست وستين وثمانمائة والله سبحانه أسأل أن يتقبله مني بمنه وكرمه وأن ينفع به جميع المسلمين

« وكتبه بيده الفانية صاحبه الفقير الى الله تعالى ابو المكارم عبد الباسط بن خليل بن شاهين بن عبد الله الشهير بابن الوزير الحنفي مذهباً والملطي موطناً والدمشقي وطناً والقاهري سكناً بمسجد العامود بالسبع قاعات . »

وقد شرح كثير من العلماء مختصر القدوري هذا وهو من تأليف أبي الحسن أحمد بن محمد القدوري البغدادي المتوفى سنة ٤٢٨ وهو المختصر الذي يُطلق عليه لفظ الكتاب في المذهب الحنفي بيد أنه لم يطبع من شروحه غير كتاب « الجوهرة النيرة » للامام أبي بكر بن علي المعروف بالحدادي العبادي المتوفى سنة ٨٠٠ هـ وكتاب « اللباب في شرح الكتاب » للعلامة عبد الغني الغنيمي الميداني الدمشقي الذي أتمّ تأليفه سنة ١٢٦٨ هـ وقد طبع الثاني على هامش الأول في الاستانة سنة ١٢٧٥ وطبع في مصر سنة ١٣٢٢ ثم أُعيد طبعه بالاستانة سنة ١٣٢٣

وقد ساق صاحب كشف الظنون « جزء ٢ صفحة ٤٠٣ — ٤٠٥ من طبعة الاستانة » اسماء عشرات من الشراح . وللتعريف بالكتاب وأسلوب المؤلف ننقل منه الى القارئ الكريم باب الأذان :

« الأذان سنة للصلوات الخمس والجمعة دون ما سواها أي دون غيرها من الصلوات فانه لا أذان لها لأن التوارث بهذا جرى . والأذان هو المشهور المتعارف [1]

(١) في نسخة مخطوطة عندي من المختصر « وصفة الاذان معروفة »

فيما بين الناس في سائر الأعصار والأمصار ولا ترجع فيه [1] لأن مدار الأذان على عبد الله بن زيد بن عبد ربه [2] ولم ينقل عنه الترجع [3] وما روي الشافعي في الترجيع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي محذورة [4] لما لقنه الأذان ارجع ومد بها صوتك محمول على التعليم والتلقين فظن ابو محذورة أنه من نفس الأذان .

ويزيد في أذان الفجر بعد الفلاح الصلاة خير من النوم مرتين لقوله عليه السلام لأبي محذورة اذا أذنت للصبح فقل : « الصلاة خير من النوم الصلاة خير من النوم » ولأنه وقت نوم وغفلة فيختص بزيادة اعلام

والاقامة مثل الاذان إلا انه يزيد فيها بعد الفلاح قد قامت الصلاة مرتين « لما روي في حديث الأذان عن عبد الله بن زيد أنه قال ثم صبر هنيهة ثم قال مثل ذلك إلا انه زاد فيه قد قامت الصلاة مرتين [5] » وقد دفع هذا قول مالك انه يقول قد قامت الصلاة مرة واحدة وهو حجة على الشافعي في أن الاقامة فرادى ولا حجة له فيما روي انه عليه السلام أمر بلالاً أن يشفع الأذان ويوتر الاقامة لأن المشهور أمر بلال ولا ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم ولئن صح فمعناه شفع الأذان بالصوت فيؤذن بصوتين ويقيم بصوت ويترسل في الأذان ويحدر الاقامة [6] لقوله عليه السلام لبلال اذا أذنت فترسل واذا أقمت فاحدر ويستقبل بهما القبلة لأنه

(١) في مخطوطة المختصر وفي المطبوع ولا ترجيع فيه

(٢) في كتاب الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج ٤ ص ٧٢ عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن زيد بن الحرث بن الخزرج الانصاري . كذا نسبه ابو عمر فزاد في نسبه ثعلبة والمعروف اسقاطه

(٣) وفي مخطوطة المختصر والمطبوع الترجيع

(٤) في الاصابة ج ٧ ص ١٧٢ ابو محذورة المؤذن اسمه أوس ويقال سمرة بن معير ويقال سلمان ويقال سلمة ويقال معير بن محيريز والاثبت انه أوس وقد علمه النبي صلى الله عليه وسلم الأذان وقصته بذلك في صحيح مسلم وغيره

(٥) العبارة التي بين عضادتين في الهامش

(٦) في مخطوطة المختصر وفي المطبوع ويحدر في الاقامة

دعاء وثناء على الله تعالى وكان الاستقبال بهما أولى . فاذا بلغ الى الصلاة والفلاح حول وجهه يميناً وشمالاً لأنه دعاء الى الصلاة واعلام وتحويل الوجه أبلغ في ذلك

ويؤذن للفائتة ويقيم لأن القضاء يحكي الفائت وعن الشافعي انه يقيم لا غير لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بلالاً فأذن (بالاقامة ليلة التعريس الا ان القصة واحدة وقد روى أنه أمر[1]) فصلينا ركعتين ثم أقام فكان الزيادة أولى

فان فاتته صلوات أذن للأولى وأقام وكان مخيراً في الثانية ان شاء أذن وأقام وان شاء اقتصر على الاقامة لأنها صلوات فائتة فيسن لها الأذان كالأولى وان اقتصر على الاقامة جاز لما روي عن ابن مسعود ان النبي عليه السلام فاتته يوم الخندق أربع صلوات حتى ذهب ماشاء الله من الليل فأمر بلالاً فأذن وأقام وصلى الظهر ثم أمره فأقام فصلى العصر ثم أمره فأقام وصلى المغرب ثم امره فأقام وصلى العشاء

وينبغي أن يؤذن ويقيم على طهر[2] لأنه ذكر يتقدم الصلاة فكان من سنته الطهارة كالخطبة .

وان أذن على غير وضوء جاز لأن المقصود هو الإعلام وقد حصل .

ويكره ان يقيم على غير وضوء لأنه يؤدي الى الفصل بين الاقامة والدخول في الصلاة وانه مكروه .

ولا يؤذن وهو جنب لأنه ذكر الله تعالى وثناء عليه فأشبه القراءة

ولا يؤذن لصلاة قبل دخول وقتها[3] لأنه دعا الى الصلاة والدعاء الى الصلاة ولا صلاة محال

(١) العبارة التي بين عضادتين في الهامش

(٢) في مخطوطة المختصر على طهر وفي المطبوع على وضوء

(٣) في مخطوطة المختصر ولا يؤذن لصلاة قبل دخول وقتها « الا عند أبي يوسف فيجوز قبل الصبح » الا أن العبارة الأخيرة التي وضعناها بين عضادتين لم ترد في المطبوع كأنها من أصل المختصر بل انها اقحمت في الشرح بقول الشارح أبي بكر الحدادي وأما في الفجر فعند أبي يوسف يجوز في النصف الأخير من الليل وعندهما لا يجوز

وقال أبو يوسف والشافعي يجوز أذان الفجر في النصف الاخير من الليل لأنّ بلالاً كان يؤذن بليلٍ الا أن النبي صلى الله عليه وسلم نبه على الغرض وبين أنه لغير الصلاة فقال انه يؤذن بليل ليوقظ نائمكم ويتسحر صائمكم . اهـ .

ويظهر ان هذا الكتاب اتصل بعد ذلك برجلٍ يدعى « محمد ابي الفتح » فقد جاء في ظهر آخر ورقة منه ما نصه :

لكاتبه عفا الله عنه

يا ربِّ للجار حقٌّ وفي الثرى صرت جارك
فلا تخيب رجائي واجعله أمراً مبارك

وتحت ذلك : ولي أيضاً مضمناً

أتى الحبُّ يوماً زارني قلت مرحباً ببدرٍ تبدّى للتواصل طائعُ
ومضمناً ناديت والحب ضاحكٌ « أبرقٌ بدا من جانب الغور لامعُ »

ومعلومٌ أنّ الشطر المضمن هو صدر بيت لابن الفارض هو :

أبرق بدا من جانب الغور لامعُ أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقعُ

وقد أضاف اليه سبطه علي من الأبيات ما جعلها جميعاً قصيدة عصماء أُلحقت بديوان ابن الفارض

ولعل أحد هواة الكتب الذين يملكون نسخة غير مبتورة من هذا الشرح يطلع على ما نقلناه من « باب الأذان » فيعلن عن ذلك لنستكمل النقص الذي في نسختنا هذه فانها صحيحة بما فيها من السماع التطبيقي والمقابلة على أصول أصحّ .

وبعد فان الكتاب بالقطع الكبير وعدد صفحاته نحو ٤٠٠ وطول كل ورقة ٢٨ وعرضها ١٨ من السنتيمترات وفي كل ورقة ٢١ سطراً وكل سطر مؤلف من ١٣ كلمة بحرفٍ كبير مقروء وفي كاغدٍ صكوكيّ ثخين .

عبد الله مخلص

اولية تدوين المعاجم
وتاريخ كتاب العين المروي
عن الخليل بن احمد

(٣)

٣ — التأليف على حروف المعجم وأثر الخليل بن احمد في ذلك :

بعد أن فرغ الخليل من حصره ابنية العرب بطريقة علمية شاملة ضابطة ، وبعد ان ادرج تلك الأبنية على تتابع حروف الهجاء ، لم يفته ان نهجه هذا قد أثبت لكل تركيب من تراكيب العربية مكاناً خاصاً ، يرد فيه تبعاً للحروف التي يتألف منها ، وانه اصبح في الوسع معرفة ذلك المكان ، فقال عنه الليث في كتابه : « فاذا سألت عن كلمة وأردت ان تعرف موضعها من الكتاب ، فانظر الى حروف الكلمة ، فمها وجدت منها واحداً في الكتاب المتقدم ، فهو في ذلك الكتاب » [1] .

هب انك تريد ان تجد موضع « سمع » ، فانظر أي حرف من حروف هذه الكلمة يتقدم الآخرين في ترتيب الحروف على مخارجها ، وانك لواجد حرف « العين » ، يتلوه من الآخرين « السين » ثم « الميم » . وبما ان « سمع » ثلاثي التركيب ، ارجع الى ابواب الثلاثي في الكتاب ، وانظر فصل العين منها ، ثم ابحث عن باب العين مع السين ، فاذا وقعت عليه ، فارجع الى ضرب العين والسين مع الميم . ودليلك الذي لا يخطئ في ذلك ان الفصول والابواب والضروب رتبت جميعها على مخارج الحروف التي درجت فيها .

وكذلك وفق الخليل الى ايجاد كتاب حصرت فيه كل الأبنية ، وعرف فيه موضع كل منها ، غير أنه لم يتهيأ للخليل الوصول الى تحديد مواضع الكلمات الا عرضاً ، اي ان أسلوبه في حصر الألفاظ ادى بقصد او دون قصد ، رغبة او توفيقاً الى تحديد مواضع الكلمات .

---

(١) التهذيب للازهري ص ٢٩

وادعى علماؤنا بأسبقية العرب في تأليف كتب اللغة على حروف المعجم ، وُبني بعض دعواهم على غفلة منهم بالآثار اللغوية اليونانية ، ونجم بعضه الآخر من أن العرب لم يأخذوه عن الآخرين ، وساروا به شوطاً بعيداً ، لم يدعوا فيه احداثاً جديداً لمحدث ، واستفادوا منه في كل ضرب من ضروب علومهم ، فكانوا دون جدال اربابه من دون الأمم .

على أن من الحق ان يقال ان اليونان سبقتهم اليه ، فقد ألف علماؤها قبل ظهور الرسالة المحمدية عدداً من المعاجم ، مرتبة على حروف الهجاء ، نذكر منها معجم بامفيليوس Pamphilius اللغوي الاسكندراني ، الذي الف منه خمساً وتسعين مجلدة ، وا كمله سوبيريون Sopirion [1] ، ومعجم هيلاديوس Hell.dius كاهن جوبتر في الاسكندرية حوالي سنة ٣٩٠ ميلادية [2] ، ومعجم هيزيشيرس Hesychius الاسكندراني [3]

وقد يجول في الذهن ان الخليل أخذ ترتيبه من هذه المعاجم وأمثالها ، وانه لا فضل له في ذلك الا اسبقيته في النقل ، وهذا رأي يبدو وجيهاً قوياً ، غير أن عللاً عديدة تنقضه وتزيله .

أولها انه ما كان للخليل أن يعرف معاجم يونان لجهله اليونانية ، ولأن حركة الترجمة في عصره لم تكن شيئاً مذكوراً ، وهي لم تجن ثمرها الا في عهد الرشيد والرشيد بويع بالخلافة سنة ١٧٠ ، اي السنة التي يغلب أن يكون الخليل قد توفي فيها . وهب ان ما ترجم في عصر الرشيد والمأمون ومن بعدهما كان معروفاً في عصره ومنها الكتب المؤلفة على الحروف ، ككتاب الحروف لارسطو ،

(١) Encyclopaedia Britannica 11• edition, 191. 7-8. (٢) النص السابق وانظر عن هيلاديوس في Paulys.—Real-Encyclopaedie begonnen von G. Wissowa VIII,1. 103 Stuttgart, 1931

(٣) Enc. Brit. ، النص السابق ، وانظر ترجمة هيزيشيوس في Paulys VIII,2. 1322. ولعل معجم Herodian صاحب نيرون يدخل في هذه المعاجم على ماهنالك من الشك في ان يكون رتب على الحروف بعد عصر مؤلفه Enc. Brit• 190,7-8,

المعروف بالالٰهيات ، الذي نقل منه حنين بن اسحق وابنه اسحق وابوزكريا يحيى بن عدي وأسطاث [١] . وهب ان حكماء عصره ألفوا كتب الأدوية على حروف المعجم ، كما فعل ابو يعقوب اسحق بن حنين (ـ ٢٩٨) في كتاب الأدوية المفردة على الحروف [٢] ، وكما يقال عن ابيه حنين (١٩٤ — ٢٦٤) [٣] ، وككتاب قوى الادوية المفردة على الحروف لعيسى بن صهاربخت من اهل جنديسابور [٤] ، هب ان ذلك كان فليس اسلوب هذه الكتب يوحي بتأليف معجم للألفاظ اللغوية ، يحويها كاملة : فان هذه الكتب لا تضم الا عدداً قليلاً من المفردات التي لم ترتب الا باعتبار الحرف الأول منها ؛ وبحث الأدوية المفردة على ترتيب حروف الجمل (ابجدهوز) في كتاب القانون لابن سينا اكبر دليل على ما نقول [٥]

وليس يثبت أخذ الخليل عن اليونان ترتيبهم الا البرهان على اطلاعه على معاجمهم اللغوية ، وذلك امر لا دليل عليه ، والدليل على عكسه موجود ، اذ ان من المقرر أن علماء اللغة العربية والادب العربي لم يعنوا بمعرفة آثار الأدب واللغة اليونانية ، ثم تأمل قولهم في اسلوب كتاب العين ، تزدد يقيناً بعدم معرفتهم معاجم اليونان: قال ابو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي ، وهو شيخ من شيوخ العربية : « أبدع مؤلف كتاب العين بدائع ، لم يسبق اليها ، فمن ذلك تأليفه كلام العرب على الحروف » [٦] . وقال الزبيدي وهو من اللغويين المشهورين : « ثم ذهب الخليل في حصر جميع الكلام مذهبه من الاحاطة ، التي لم يتعاطها غيره ، ولا تعرضها أحد سواه ، فثقف جميع الكلام وزم جميعه ، وبين قيام الابنية من حروف المعجم وتعاقب الحروف لها بنظر لم يتقدم فيه وابداع لم يسبق اليه » [٧] . ولم يقتصر هذا القول على اللغويين ، بل قال به المؤرخون المطلعون على تواريخ القدماء

---

(١) الفهرست ، ٢٥١ ، ابن القفطي ٤١ – ٤٣ (٢) الفهرست ٢٨٥، ٢٩٨، ٣٠٩

(٣) ابن ابي اصيبعة ١ : ١٩٦ وقد يكون ماذكر عنه في ذلك ترجمة لا تأليفاً ، ويؤيد ذلك ان ابن النديم ذكر له ترجمة كتاب اسمه كتاب الأدوية المفردة لجالينوس ولم يذكر له تأليفاً في ذلك (الفهرست ، ٢٩٠) (٤) الفهرست ، ٢٩٨ (٥) طبعة روما سنة ١٥٩٣ ، من صفحة ١٢٤

(٦) المزهر ١ : ٩٠ ، كشف الظنون ٢ : ٢٩٠ عن المزهر (٧) المزهر ١ : ٤١

لحمزة بن الحسن الأصبهاني ، فقد قال : [1]« صنع صاحب كتاب العين مالم يصنعه احد منذ خلق الله الدنيا ... من تأسيسه بناء كتاب العين الذي يحصر لغة امة من الأمم قاطبة » . اتراهم كانوا يقولون ذلك لو اطلعوا على معجم من معاجم اللغة اليونانية المخرجة على الحروف ؟ الا إن الصلة كانت معدومة بين علماء العربية وبين كتب اللغة اليونانية . واما قول ابن جلجل بأن حنين بن اسحق اتصل بالخليل وأخذ عنه العربية [2] ، فدعوى باطلة ، لأن مولد حنين كان سنة ١٩٤ [3] ، اي بعد وفاة الخليل بكثير ، وبطلانها ينقض كل ماقد يخطر بالبال من ايحاء حنين للخليل بطريقة اليونان . اما إن القول الفصل ان الخليل لم يعرف شيئاً عن أسلوب اليونان .

ألا ترى انه لو كان عرف شيئاً من ذلك لاتبع اسلوبهم ، وحذا حذوهم ، لا سيما وأسلوبهم أسهل من إسلوبه ، واقرب الى افهام الخاصة والعامة ، فترتيبهم هو الترتيب المعروف اليوم في معاجم اهل الغرب وفي معاجمنا المحدثة ، فقد درجت فيه الألفاظ باعتبار حرفها الأول ثم الثاني ثم ما يليهما [4] ، وكل ذلك واضح سهل . فلِمَ يدع الخليل هذا الترتيب ، ويعمد الى أخذ مختلف مضاريب الحروف بعضها مع بعض كما رأيت ؟

ونعود إلى ما قلناه آنفاً من أن الخليل توصل الى إبداع الترتيب على حروف المعجم عرضاً ، آل به الى ذلك غايته في حصر ألفاظ العربية ، فلا علاقة لمعاجم اليونان في ذلك . بل نستطيع أن نقول اكثر من ذلك ، فندعي ان لغويي العرب

(١) وفيات الاعيان ١ : ١٧٣ ومرآة الجنان ٢ : ٣٦٣ (٢) في ابن ابي أصيبعة ١ : ١٧٢، ١٨٥ وابن العبري ، ٢٥٠ وصاعد الأندلسي في طبقات الأمم ، بيروت ١٩١٢ ، ص ٣٦

(٣) مايرهوف ، مقدمة كتاب العشر مقالات في العين ، – وسوتر Suter في معلمة الاسلام ، الطبعة الافرنسية ٢ : ٣٥٧ وابن ابي أصيبعة ١ : ١٩٠ (٤) معظم المعاجم اليونانية القديمة اقتصرت على اعتبار الحرف الأول والثاني وحيناً الثالث اساساً للترتيب (VII.670,Paulys) ، وهذا أيد لدعوانا ، اذ كيف يعقل أن يأخذ المقلد بأبعد مما وصل اليه من ينقل عنه ، فترى الخليل يعتبر حروف الكلمة اجمع لا الحروف الثلاثة الاولى .

أدركوا أسلوب اليونان المخالف لأسلوب الخليل ، دون ان يطلعوا على معاجمهم ، فقد مروا بمراحل أدت بهم بنتيجة تطور متتابع الى ما يشابه اسلوب اليونان . فأسلوب كتاب العين وتطور هذا الأسلوب رويداً رويداً خلال العصور أديا بهم الى حيث وصلوا ، دون ان يفتقروا الى معرفة طريقة اليونان ، وهاك ايضاح ذلك :

رأينا كيف أن الخليل لم يجد أوفق لغايته التي دفعته الى تأليف كتاب العين — الا وهي حصر أبنية العرب — من ترتيب الحروف على مخارجها ، وانه عندما فعل ذلك وجد من الخير ان يجمع في محل واحد مختلف الألفاظ التي تتكون من ضرب الحروف بعضها ببعض ، وان يفصل الثنائي عن الثلاثي عن الرباعي عن الخماسي . وسوف نرى كيف ان اللغويين بعد ان شعروا — والغاية من ترتيب الخليل قد حصلت — بالحاجة الى تأليف المعاجم على طراز يقرب سبيل الوصول الى الكلمات ومعرفة معناها ، لم يوفقوا دفعة واحدة الى ذلك ، كما لو كانوا عرفوا نهج اليونان ، بل عبروا زمناً طويلاً يدخلون التعديل تلو التعديل على اسلوب الخليل . حتى اذا قربوا من الوصول الى اسلوب اليونان تعدوه الى أسلوب آخر ، أصبح نهجهم الذي اختصوا به .

وهذا ابو اسحق ابراهيم بن الحربي (١٩٧ — ٢٨٥) لم يجد معجماً ينسج على منواله غير كتاب العين ، او ما نحا نحوه[1] ، وقد دل كتابه في غريب الحديث على انه قلد الخليل دون ان يفهم غايته ، فلم يتبع من أسلوبه الا حرصه على درج مختلف مضاريب الحروف بعضها ببعض ، كذكر (رم مع مر) و (شعر مع عشر مع شرع) ، مع خلو الفائدة من هذا الترتيب في معجم للحديث . أما درج الحروف تبعاً لترتيب ما ، وأما

(١) لم نر نسخة خزانة الاسكوريال ٥٧٢ من كتاب الجيم لابي عمرو شمر بن حمدويه الهروي (— ٢٠٥ او ٢٠٦) الذي « أسسه على الحروف المعجمة وبدأه بحرف الجيم » وقيل انه ضن به في حياته ، وتفرق بعد وفاته (تهذيب اللغة للازهري ٢٦ — ٢٥ وانظر المزهر ١ : ٤٦ والبلغة ١٩٧) وذهبت كتب اللغة التي هذب فيها كتاب العين او عورض كالبارع للمفضل بن ابي سلمة (توفي نحو ٢٥٠) (ابن خلكان ٢ : ٣٥) ، والغالب ان هذه الكتب حذت حذو الخليل كما يدل على ذلك اسلوب الكتب التي تلتها فهي لا تظهر تجدداً بالنسبة الى أسلوبه .

فصل الثنائي عن الثلاثي وغيرهما فلا [1] ، ولعل عذره في ذلك ان موضوع كتابه جديد ، وانه لم يستطع أن يجد طريقاً لجمعه ضابطاً منظماً في أبواب الكتاب الصغيرة التي لا تدخل في حصر . وسار على نهج الخليل احمد بن محمد البشتي الخازرنجي من القرن الرابع . ومع انه حاول ان ينتقد عليه ، وان ينقض كتابه ، لم يجد بداً من ترتيب كتابه على مخارج الحروف وفصل الأبنية الى ثنائي وثلاثي وغير ذلك وذكر ضروب الحروف ومقاليب الكلمات [2] . وحذا حذو الخليل أيضاً الأزهري في تهذيبه [3] والزبيدي (— ٣٧٩) في مختصره [4] وابو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده (— ٤٥٨) في محكمه [5] ، وينتقد ابن منظور اسلوب كتاب التهذيب والمحكم ويقول « ان كلاً منها مطلب عسر المنال ... وكأن واضعه شرع للناس مورداً عذباً وحلأهم عنه » [6] وقد خفي عليه انهما اتبعا طريق الخليل ، واقتديا به دون ادخال تعديل عليه ، يقتضيه تغير الغاية والحاجة . ويشعر ابو بكر بن دريد بالحاجة الى ادخال التعديل ولكنه وقع في ابلغ مما وقعا فيه ، فهو بعد ان عدل عن ترتيب الحروف على مخارجها ، واعتز بذلك قائلاً « وأجرينا كتاب الجمهرة على تأليف الحروف المعجمة ، اذ كانت بالقلوب أعلق ، وفي الاسماع أنفذ ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة ، وطالبها من هذه الجهة بعيداً من الحيرة » [7] بعد ان فعل ذلك لم يستطع أن

(١) المجلدة الخامسة من غريب الحديث للحربي (مخطوطة الظاهرية ، لغة ٤٢) ومجمل ترتيب هذا الكتاب انه يأخذ غريب أحاديث كل صحابي على حدة فيعدد هذه الأحاديث ويدرج في كل عدد مضاريب عدد من الحروف فاذا ذكر غريب حديث عبد الله بن عباس قال مثلاً : الحديث الخامس ، باب فرع ... باب عرف ... باب عفر .. باب رعف (٢) يعدد الازهري في التهذيب بعض عيوبه ومنه استدللنا على ترتيب كتابه ففي ص ٣٠ يذكر في باب العين والقاف والزاي (قوزع) وفي ص ٣٦م في باب العين والضاد مع الباء ابضعين وفي ص ٣٧ في باب العين والقاف والدال قعود

(٣) طبعة سترستين وانظر البلغة ص ١١٦ وفهرس دار الكتب المصرية ٢ : ١٠ وبروكلمن ١ : ١٢٩

(٤) فهرس دار الكتب المصرية ٢ : ٣٦ والمقدمة لابن خلدون باب اللغة وابجد العلوم ٦١٥

(٥) المقدمة في باب اللغة وابجد العلوم ٦١٥ والبلغة ١٦٧ واكتفاء القنوع لفانديك ، مصر ١٨٩٦ ص ٣٢٠ (٦) لسان العرب ١ : ٣ (٧) الجمهرة ١ : ٣ وفي المزهر عنه ١ : ٤٧

يدع نهج الخليل في أخذ مختلف ضرب الحروف بعضها ببعض وعكسها وقلبها وفصل ثنائيها عن ثلاثيها . وأخذ لفيفها ومعتلها ، وكأنه لم يدر ان ما فعله الخليل في ذلك يوافق ترتيب حروف الحلق لا ترتيب حروف الالفباء ، وان الخليل لو كان أخذ بترتيب الالفباء لاختط لنفسه طريقاً آخر . وتبع ابن دريد الصاحب بن عباد (— ٣٨٥) دون ادخال تعديل على أسلوبه[1] ، وأدرك ابو العباس احمد بن محمد بن ولاد (— ٣٣٢) مافاتهما ، وعرف أنه لا يمكن « طالب الحرف في كتاب العين ان يعرف موضعه من الكتاب من غير ان يقرأه ، الا ان يكون قد نظر في التصريف ، وعرف الزائد والاصلي والمعتل والصحيح والثلاثي والرباعي والخماسي ... وتصريف الكلمة على ما يمكن من وجوه تصريفها في اللفظ على وجوه الحركات ، والحاقها ما تحتمل من الزوائد ومواضع الزوائد ، بعد تصريفها بلا زيادة ؛ ويحتاج مع هذا الى ان يعلم الطريق التي وصل الخليل منها الى حصر كلام العرب : فاذا عرف هذه الأشياء عرف موضع ما يطلب من كتاب العين » [2] .

وفهم ان على من كان غرضه غير ما قصد الخليل ، ان يتخذ طريقاً آخر ، وهذا ما فعل مقدماً الألف على سائر الحروف ، وذاكراً في باب الألف كل الكلمات المقصورة والممدودة ، التي تبدأ بها ، وفي كل حرف من الحروف الكلمات التي أولها ذلك الحرف . وقد سبق في ذلك جميع اصحاب المعاجم اللغوية ، لكنه لم يفكر بأن يجعل الترتيب يعم الحرف الثاني والثالث وما بعدهما ، فورد كتابه مضطرباً في ذلك ، ومن اراد ان يعثر على كلمة فيه ، وجب عليه ان يتصفح كل الكلمات التي أولها يماثل أول حرف من هذه الكلمة ، وشأنه في ذلك شأن المبتدئ الذي لابد أن يأتي عمله ناقصاً ، على انه كان أوسع فكراً من ابي بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن القوطية (— ٣٦٧) الذي شعر بالحاجة الى درج الكلمات التي تبتدئ بحرف مماثل في مكان واحد ، ففعل كما فعل ابن ولاد ، قاصراً ترتيبه على الحرف الأول ، ولكنه حافظ على ترتيب الحروف

(١) الصاحب بن عباد لخليل مردم بك ، دمشق ١٩٣٢ ، ص ١١٥ — ١١٨ وفهرس دار الكتب المصرية ٢: ٣٥ (٢) المقصور والممدود له ، مصر ١٩٠٨ ، ص ٣ وعنه في المزهر ١: ٦٦

الحلقي [١] . وهذب ابو محمد بن عزيز السجستاني (— ٣٣٣) طريقة ابن ولاد ، فلم يقتصر على جمع الألفاظ المتماثلة بحرفها الأول ، بل رتبها على حركاتها الخفيفة في حرفها الأول من فتح وضم وكسر [٢]

وترتيبا ابن دريد وابن ولاد مهدا السبيل لابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا القزويني (٣٢٩ — ٣٩٥) ، فأخذ بترتيب الالفباء ، وجمع الكلمات التي أول حرف منها متماثل ، وزاد الى ذلك اعتبار الحرف الثاني والثالث في الترتيب ، غير ان اثر الخليل يظهر في عمله ، فهو يتابعه في تقسيمه للابنية الى ثنائية وثلاثية واكثر من ذلك ، فيذكر الكلمات الثنائية على حدة ، ويتبعها في الحرف نفسه بالابنية الثلاثية ، ثم « بما جاء من كلام العرب على اكثر من ثلاثة أحرف . » وقد اتبع هذا الترتيب في مجمل اللغة [٣] وعرف انه أتى بشيء جديد ، فقال « هذا آخر مجمل اللغة فاحفظه وتدبر ترتيب ابوابه » [٤] وحافظ على الترتيب نفسه في كتابه مقاييس اللغة [٥]

وقبل ان يظهر معجم لغوي ، يوافق تماماً ترتيب اليونان ، يظهر كتاب الصحاح للجوهري بترتيب جديد مبتكر ، لا يشابه ترتيب اليونان ولا ترتيب ابن فارس ؛ وبه

---

(١) في الأفعال الثلاثية والرباعية له ، طبعة غويدي ، ليدن ١٨٩٤ (٢) تفسير غريب القرآن له ، نسخة الظاهرية ، لة ٣٠ والنسخة المطبوعة ، يعدد في باب الهمزة المفتوحة مثلاً : انذرتهم ، اليم ، انداداً الخ (٣) مطبعة السعادة ١٩١٣ الجزء الاول (٤) الجزء الاخير من مجمل اللغة ، مخطوطة الظاهرية ، لة ١٢٣ ، آخر ورقة . ولكن يجب القول ان ترتيبه في ابنية الثلاثي ليس كاملاً فأول الأبواب لا يبتدئ بالتاء الذي يجب ان يبتدئ به وخذ مثالاً على ذلك باب العين والذال وما يثلثهما يبتدئ بعذر وينتهي بعذب والذي بعده يبتدئ بعرز وينتهي بعرج ولم نر تعليلاً شافياً لما يفعل ولعله أخذ دولابين متحركين مسننين على عدد حروف العربية على كل سن حرف من حروف الالفباء فكان يدير احد الدولابين حين يأخذ صور الثاني ويدير الدولاب الثاني حين ينتقل الى الثلاثي ويسجل الابنية المستعملة التي تخرج معه في هذا الدوران بترتيبها الذي لا يخطئ والذي يسهل له سبيل تركها والرجوع الى معاجم اللغة دون ان يختل ترتيبه . واذا فرضنا وجود صلة ما بين الدولاب الاول والثاني تجعل الثاني يتحرك مع الاول حين الانتقال من حرف الى حرف أدركنا كيف أن الدولاب الثاني يستقر على حرف وجب ان لا يستقر عليه فيخطئ بذلك ابتداء الألفاظ الثلاثية (٥) النسخة المصورة في المجمع العلمي العربي

تنفك الحلقة التي كانت تربط مختلف اجزاء تطور ترتيب المعاجم . وترتيب الجوهري هو اعتبار الحرف الأخير من المصدر أساساً للترتيب على حروف المعجم ، ومتى اجتمعت الكلمات ذات الحرف الأخير المتماثل ، رتبت باعتبار حرفها الاول ثم الثاني [١] ويرى الاستاذ مارسيه لترتيب الجوهري سببين : اولهما ان الجوهري اراد ان يكون معجمه عوناً للسجاع ، الذين انتشروا في عصره انتشاراً كبيراً ، وثانيهما ان اشتقاق الابنية يغير حرفها الأول اكثر مما يغير حرفها الأخير [٢] . وسار الترتيب على ما خطه الجوهري النابغة ، فألف تمام بن غالب بن التيان (— ٤٣٦) موعبه باعتبار الحرف الأخير أساساً للترتيب [٣] . وأخذ بهذا الترتيب محمد بن ابي الحسن صاحب المستنصر ، الذي لخص كتاب المحكم [٤] ، وتبعهم في ذلك جل اصحاب المعاجم [٥]

وقد يقال ان اصحاب الحديث ينقضون قولنا في التطور على ما درجناه عليه ، فمنهم محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري (١٩٤ — ٢٥٦) رتب اسماء المحدثين في تاريخه الكبير على حروف المعجم [٦] ، والجواب على ذلك ان اصحاب الحديث ابعد الناس معرفة بطرائق يونان ، وا تصالاً بكتبها ، وكل امرهم ان عبقرياً منهم ادرك ان اللغة غير تعداد الأسماء ، فرتب الأسماء على حروفها الأول ، لكنه لم يتعد في ترتيبه الحرف الأول [٧] ، وقلده في ذلك ابو بشر محمد بن احمد بن حماد الدولابي (٢٢٤ — ٣١٠) في كتاب الكنى والأسماء [٨] ، وتبعه من غير اصحاب الحديث دون أي تعديل ابو القاسم الحسن

---

(١) تاج اللغة وصحاح العربية ، بولاق ، ١٢٨٢ وانظر مقدمة نصر الهوريني ١:٧ من الكتاب والمقدمة لابن خلدون باب اللغة وابجد العلوم ٦١٥ (٢) من درسه في ١٣ مارس ١٩٣٦ التقاط الاستاذ محمد المبارك والاستاذ خلدون الكناني (٣) لغة العرب ٤ : ١٧ عام ١٩١٤ على ان ابن التيان يضيف شيئاً آخر وهو جمع الكلمات ذات الوزن المماثل الواحدة تلو الاخرى (٤) المقدمة لابن خلدون في باب اللغة وابجد العلوم ٦١٥ (٥) ومن اللغويين من يرون ان الحرف الاخير اكثر عرضة للتغير من الحرف الاول فيرتبون معاجمهم على الحرف الاول ثم على الاخير ثم على ما بينهما كأثير الدين محمد بن يوسف بن علي الاندلسي الجياني (٦٥٤ - ٧٤٥) في كتابه تحفة الاريب بما في القرآن من الغريب ، حماه ، ١٩٢٤ (٦) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي ، ص ١١٠

(٧) الجزء الاول من تاريخ البخاري الكبير ظاهرية مجموع ٦٦(١٥) .

(٨) طبعة حيدر اباد ١٣٢٢ ، راجع أقسامه المختلفة بالتتابع في ١:١٢ و ١:٦٣ و ١:٩٥

ابن بشر الآمدي (— ٣٧٠) في المؤتلف والمختلف في اسماء الشعراء ، وابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (٢٩٧ — ٣٨٤) في معجم الشعراء [١] . ولكنهم كلهم لم يدركوا شأو اليونانيين في اعتبارهم الحرف الثاني والثالث ، وما فعل ذلك الا محدثو العصر الخامس ، اكمالاً لنهج من سبقهم ، وتحرياً في تسهيل المراجعة [٢]

ومجمل القول : ان العرب اخذوا بترتيب الكتب على الحروف ، دون ان ينقلوه عن اليونان ؛ وأوصلوه بمراحل طويلة الى نهج يخالف نهجهم ، دون ان يستفيدوا مما فعلوه قبلهم ؛ ولئن كانوا جميعاً يجهلون أسلوب اليونان ، فكم أحرى بالخليل ان لا يكون مطلعاً عليه ، مع بعد زمانه عن اثر اليونان ، واختلاف اسلوبه عن اسلوبهم ، وغايته عن غايتهم .

يتبع

يوسف العش

(١) نشر هذين الكتابين الاستاذ كرنكو (٢) انظر ما يقول في ذلك الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١:٢١٣ والطوسي في الفهرست ص ٢

مخطوطات ومطبوعات

أقاصيص تيمور

أخرج الاستاذ محمود تيمور بك في السنوات الأخيرة مجموعات من الأقاصيص ، امتازت بالدقة في الوصف ، والسهولة في التعبير ، والجمال في القص . منها « قلب غانية » ، و « فرعون الصغير » و « نداء المجهول » و « مكتوب على الجبين »

وان نستطيع ان نسهب في الكلام على هذه الأقاصيص ، وتبيان مافيها من جمال وفن وبراعة ورشاقة ، لأن ذلك يتطلب الصفحات الطوال ، على أننا سنوجز في مسردها، ونبين الأشاوي التي امتازت بها .

اما « قلب غانية » فمجموعة أقاصيص ، صدرها المؤلف بمقدمة عن «حافظ القصصي» وهي المحاضرة التي ألقاها المؤلف بدار الاوبرا الملكية ، في الاحتفال بذكرى حافظ ابراهيم (٧ مايس ١٩٣٧) ، وفي هذه المجموعة : سراب ، حورية البحر ، حنين ، السجينة ، الشحاذ ، الفطائر العشر ، قبلة ، أم .

اما « فرعون الصغير » فمجموعة ثانية ، صدرها الاستاذ المؤلف بحديثه الذي تحدث به في قاعة المحاضرات في الجامعة الاميركية (٥ مارس ٩٣٨) عن « المصادر التي ألهمتني الكتابة » . ذكر فيه الاستاذ كيف اصبح قاصاً ، وحبذا الطريقة يتبعها الكتاب والأدباء فيبينوا للناس ما خفي من حياتهم الأدبية ، وما ورثوه من آبائهم ، وأثر البيئة فيهم ، والحوادث الخاصة التي كان لها أثر في إنتاجهم . وهذا ما أبان عنه الاستاذ تيمور فأجاد فيه وبرع . وأقاصيص هذه المجموعة هي : غريم ، حزن أب ، غانية الحانة ، انقلاب ، أركان الوضوء ، عزرائيل القرية ، افديك بالروح ، رجل رهيب ، زمان الهنا ، غرام قديم ، ...

اما المجموعة الثالثة ، فهي « مكتوب على الجبين » وهي آخر ما جمعه الاستاذ . وفيها يظهر نضجه وكماله . قدم لها بكلمة القاها في جمعية الشبان المسيحيين عن « فن كتابة القصة » ثم نشرت هذه الكلمة في مجلة « الرسالة » المصرية . وقد كشف فيها

السبيل التي ينبغي للقاص الناشيء اتباعهـا . ومن أقاصيصها : « كان في غابر الزمان وفيهـا يبلغ تيمور الذروة ، وأغلال ، مكتوب على الجبين ، العيون الخضر ، بمبوش ، بسمة اللبنانية ، تاج من ورق ، في خميلة الحب ، مأساة نفس ، قلب كبير ، ابتسامة ذات مساء ، صحبة الورد ... »[1]

* * *

أما الأشاوي التي يراها القاريء واضحة في أقاصيص تيمور فهي

١ : البساطة . وهي من ابرز عناصر فنـه ، فلا تكلف ولا تعقيد ، ولا لف أو دوران ، وإنك لتحسب اسلوبه الناعم كأنه الحمل يثغو وراء راعيه ، او الجدول المازج ينساب بين الأزاهير . ولذلك تجد لأقاصيصه رفيفاً وطلاوة ، وترى عليها الرشاقة والجمال . والفرنسيون يقولون « البساطـة هي الجمال » . وهو لا يعمد في اقاصيصه الى المشوقات المبتذلة ، او المفاجآت التي تعقد القصة ، لأنه يعتقد انهذه من وسائل القاص الضعيف ، وان قوة القصة تظهر في بساطتها وصدقها وصوغها في قالب فني رفيع . (انظر المصادر التي الهمتني الكتابة) .

وقد جمع الاستاذ في أقاصيصه البساطة التي عرف بها القصص الروسي ، والوضوح والاتزان اللذين عرف بهما قصص « موباسان »

٢ : يُعنى الاستاذ تيمور بالتحليل النفسي عناية ظاهرة ، ويستمد مادة أقاصيصـه من النفس الانسانية على اختلاف أشكالها ومحالّها . لأن الأدب الحق كما يقول هو أن يُوَلّي الإنسان وجهه شطر النفس الانسانية . فمنهـا يستمد الأديب كل خالد جميل ، ويصبح الأدب الذي يصورها في أهوائها وميولها وأذواقها وطبائعها ورعونتهـا وحمقها وسذاجتها ، ادباً باقياً لا يفنى .

ولذلك تجده يبرع في وصف هذه النفس وتحليل عواطفها ، ويجنح الى الواقعيـة جنوحاً كبيراً ، فتحسب في أحايين كثيرة انك تعرف أولئك الأبطـال الذين تقرأ

(١) اما « نداء المجهول » فسنفرد لها كلمة خاصه بها .

عنهم وأنك قد شهدتهم مرات ومرات . وقد يخيل اليك انهم امامك تشهد حركاتهم وتسمع احاديثهم ، لأن الحياة تتدفق منهم ، ولقد وصف الشباب واهواءهم والكهول وطباعهم ، والشيوخ وشذوذهم ، والنساء وميولهن ، والمعلمين والتلاميذ ، والفنان الهيمان بالجمال ، والمصري المحافظ ، والمصري المتفرنج ، ووصف أرياف مصر ، وجبال الغرب ؛ والفقراء والفلاحين والأغنياء والحضريين ...

٣ : لا تجد في اقاصيص تيمور غلاظات بعض القصاص في النصح والوعظ والارشاد ، ولكنه يعمد للتلميح ، او يدع الحوادث تنطق ، او يصوّر فيبرع في التصوير ، فاذا هو قد ملك على القارئ امره ، وإذا بالقارئ يعلم مما اوحي اليه ان هذا حسن وذاك قبيح ، وقد ذكر الاستاذ انه لا يرى القصة منبراً للوعظ ، بل هي معرض للتصوير والتحليل (انظر فن كتابة القصة) والقاص يوحي برموزه وظلاله وإرشاداته الى القارئ بالغرض الذي يرمي اليه .

٤ : اسلوب تيمور في اقاصيصه ناعم حلو ناصع ، له رفيف وعليه سناء ، وهو يعني بلغته ويتخير الفاظها (وخاصة في مجموعته الأخيرة) اما الفاظه فعلى قدر معانيه ، لا حشو ولا إطناب . على أنك قد تجد في ثنايا كتاباته هنات لغويات او كلمات عاميات لا ضرورة لهن ، وقد كان يستطيع ان يستبدل بهن غيرهن . وقد تلمس ضعفاً في اللغة في بعض اجزاء القصة لا يستدعيه سياقها ، وقوّة في اجزاء أخر لا يتطلبه المقام .

٥ : يتتبع الأستاذ أثر « موباسان » في اقاصيصه ، وقد تجد له اقاصيص على النمط الروسي . ولعل تتبعه لموباسان نتيجة لشغفه به ، فهو يرى « ان فنه كامل توفرت به جميع العناصر اللازمة لبناء قصة قوية من حيث عرض الموضوع ومعالجته وتحليل اشخاصه وتسلسل حوادثه ، مع الوضوح والاتزان ... » (انظر المصادر التي الهمتني الكتابة)

* * *

هذا قول موجز في اقاصيص تيمور . والحق انه ابدع لوناً رفافاً في ادبنا الحديث وهو القصة ، فبرع به واجاد ، وسبق وجلّى .

أفلا يدفعنا ، بعد ذلك ، ذيوع اقاصيصه[1] ، وفرادة احاديثه ، ورفيف أسلوبه ، وحلاوة تصويره ، وجمال قصه ، أن نلقبه بحق : [أمير القصة في الشرق]

صلاح الدين المنجد



(١) نقلت أقاصيص الاستاذ تيمور الى الفرنسية بعنوان

Les Amours de Sami

Les écrivains Contemporains 26, Rue des Tournelles. Paris IVe

ونقلت الى الألمانية بعناية المستشرق السويسري الدكتور ويدمار

Mahmüd Taimür

Von Dr G. Widmer

Arthur Collignon, Buchhandlung für kunst und Wissenschaft, G. m. b. H.

Berlin N W 7.

آراء وأنباء

حول « الاجابة » ايضاً

تصفحت كتاب « الاجابة » الذي رجا ناشره الاستاذ الأفغاني [1] من المطلعين عليه ، بيان مافيه ليصححه ، وإني ذاكر ما عثرت عليه

(١) ص ١٥ س ٥ . المختصر في الحديث ؛ هو في مصطلح الحديث ، كما في شرح البيقونية « قال الزركشي في مختصره : يدخل القلب والشذوذ والاضطراب في قسم الصحيح والحسن . »

(٢) ص ١٧ س ١٦ : قال ابو الفضل ابن حجر : » « الف (ابن) غيرموجودة في الأصل ، انظر الشكل الأول ، واثبات الألف هنا مردود عند العلماء ، بلا فرق في العلمين بين ان يكونا اسمين او كنيتين او لقبين او مختلفين [2]

(٣) ص١٨ س ٤ : « وغيرها » وغيرهما ، كما في الأصل انظر الشكل الأول

(٤) ص ١٨ س ٨ : « أما » هي « نا » وأصلها اخبرنا » » »

(٥) ص ١٨ س ١٩ : « قيل له » لا وجود للفظ « له » في الأصل انظر الشكل الأول من الحاشية التي أولها « نقلت الخ »

(٦) ص ٧١ س ١٥ : انها حبيبة رسول الله : انها « حبة رسول الله » طبقاً لصحيفة الأصل التي صورها في كتابه « ١٦ » وهي بهذا اللفظ في مسند احمد (ج ٦ ص ١٣٠ فكان ينبغي الإشارة إليها ، وإن جاءت في المستدرك بلفظ « حبيبة »

(٧) قوله : « وعروة وابن الزبير مقصود لا سهو فيه » فيه إيهام ان عروة غير اخي عبد الله بن الزبير ، وحافظا المشرق والمغرب ابن حجر وابن عبد البر يقولان في رواية هذين الأخوين عن خالتهما عائشة هكذا : « عبد الله وعروة ابنا الزبير » وابنا اختها عبد الله وعروة ابنا الزبير (ص ٣٦٠ و ص ٣٦١ ج ٤) من الاستيعاب والاصابة ، فمتابعتهما في هذا خير من ذلك التركيب العجيب

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي الغراء (م ١٦) ص ٣٣٥ (٢) انظر المطالع النصرية ص ١١٧

(٨) ص ٧٣ س ١ : ابو حجاج المزي : هو ابو الحجاج (بالألف واللام) طبقاً لصحيفة الأصل أيضاً

(٩) قوله :«أعلى الدلاء من اسفلها غير صحيح » هو تصحيح لقوله : «من اسفله» فقط وهو صحيح ،وقوله « انظر شرح شرح المواهب للزرقاني » هو استدراك على نفسه وتصحيح لغلطه .

(١٠) قوله : ومراعاة النطق في لفظ (داوود) اولى ، وكل جائز ومثله طاووس ص ٩١ من الاجابه – ليس بسديد لدى أولي العلم والرسم ، ففي المطالع النصرية مانصه « المختار عند اهل العلم ان يكتب داود وطاوس ورؤس وفؤس بواو واحدة استخفافاً لكثرة الاستعمال » اه ص ١٣٠ قلت وهو الذي يراه الناظر في المعاجم وكتب التراجم

(١١) وهم العلامة الاستاذ كرنكو فقال في دفع وهم الافغاني في الامام البزار : المتوفى سنة ٢٤٢ (انظر انساب السمعاني) : في كتاب الأنساب لأبي سعيد او سعد السمعاني : مات بالرملة سنة ٢٩٢ (ص ٧٨ الوجه الأول من طبعة الزنكوغراف) وفي لسان الميزان في ترجمة البزار : توفي بالرملة سنة ٢٩٢ ، وقال ابن قانع اخبرني ابنه انه توفي بالرملة سنة ٩١ «ص ٢٣٧ و ص ٢٣٨ ج ١» وفي حوادث سنة ٢٩٢ من كتاب الشذرات : وفيها الحافظ ابو بكر البزار ، احمد بن عمر بن عبد الخالق البصري صاحب المسند الكبير في ربيع الأول بالرملة (اي توفي فيها)

(١٢) ص ١٩٣ س ٣ : من العمود الثاني «حفصة بن عمر »؛ الصواب حفصة بنت عمر

(١٣) ص ٢١٠ س ٥ : من العمود الأول ، « الاربعة (الأئمة في الحديث) ص ١٦٥ » لا وجود لهذه العبارة في الصفحة المشار اليها

(١٤) ص ٢١٨ س ١٥ : من العمود الأول ؛ « شرح جامع الجوامع » ؛ هو شرح جمع الجوامع للسبكي

(١٥) ص ٢٢٠ س ٣٠ : من العمود الأول ؛ « الصباح المنير » هو المصباح المنير

(١٦) أما ما سكت عنه من ملاحظات أستاذنا الجليل البيطار فهو اعتراف منه بصحته ، وهو مما لا يمكن أن يصحح اعتباطاً أو عفو الخاطر كما ذكر .

مسلم الغنيمي الميداني

بحث عن اثرين

عثرنا في دار الكتب الظاهرية على رسالة خطية كتب عليها [ديوان ابي العلاء المعري] وفيها قصائد على عدد حروف الهجاء كل قصيدة منها عشرة أبيات وقد التزم في كل منها ان يكون أول حرف من البيت وآخره سواء فمن اطلع على مثل هذه الرسالة أو علم بموضعها فليتفضل بابلاغ المجمع العلمي العربي في دمشق وهذا مثال من أول القصائد

أمالك ياداء المحب دواء بلى عند بعض الناس منك شفاء
بكت رحمة للصب عين عدوه فما لحبيب القلب لا يرحم الصبا

ويبحث المجمع عن قصيدة تائية منسوبة الى عامر بن عامر البصري عارض بها تائية ابن الفارض ويقول انه نظمها في سيواس وتبلغ نحو خمسمائة بيت مرتبة على اثنى عشر نوراً كل نور يتضمن بحثاً من مطالب الصوفية الكبرى ومطلعها

تجلى لي المحبوب من كل وجهةٍ فشاهدته في كل معنى وصورةٍ

فالمجمع يهمه ان يعرف من هو عامر بن عامر البصري فمن عثر على شيء من هذه القصيدة او معرفة ناظمها فليتفضل باعلام المجمع ذلك



العناصر الاجنبية في الاسلام [١]

أدخل الاسلام في حظيرته أذكياء من أجيال الناس ، وأهل الملل والأديان القديمة ، تمثلوا تعاليمه وخدموه أجلّ خدمة . وكان للموالي أثر عظيم في نقل الشريعة وبثها ، حتى جاء زمان وعدد الموالي القائمين على بث العلم أكثر من عدد العلماء الذين كانوا من أصول عربية لا تشوبها شائبة العجمة . ونحن في هذا الحديث نكتفي بالالماع الى ثلاثة عظماء جاء الأولان في القرن الثالث وهما ابراهيم الحربي وابو عبيد القاسم بن سلاّم وجاء الثالث في القرن السابع وهو ياقوت . كانت أم ابراهيم الحربي تغلبية « وأخواله نصارى اكثرهم » قالوا لم تخرج بغداد أعلم منه . قال صاحب تاريخ بغداد كان إماماً مصنفاً ، عالماً بكل شيء ، بارعاً في كل علم ، عارفاً الفقه ، بصيراً بالأحكام ، حافظاً للحديث ، مميزاً لعلله ، قيماً بالأدب ، جماعة للغة ، وصنف كتباً كثيرة ، وكان يقاس بأحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه . جاءه رجل من اصحاب الخليفة المعتضد بعشرة آلاف درهم ، يسأله عن أمر أمير المؤمنين تفرقة ذلك فرده ، فانصرف الرسول ، ثم عاد فقال : ان امير المؤمنين يسألك أن تفرقه في جيرانك ، فقال عافاك الله ؛ هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه فلا نشغلها بتفرقته ، قل لأمير المؤمنين : إن تركتنا والا تحوّلنا من جوارك !

حدث القاسم بن الحنبلي قال : اعتلّ ابراهيم الحربي علة حتى أشرف على الموت :

(١) من حديث للاستاذ محمد كرد علي ألقي في مذياع بيروت (راديو الشرق)

فدخلت اليه يوماً فقال لي : يا ابا القاسم أنا في أمر عظيم مع ابنتي ، ثم قال لها : قومي اخرجي الى عمك ، فخرجت فألقت على وجهها خمارها ، فقال ابراهيم : هذا عمك كلميه . فقالت لي : ياعم نحن في أمر عظيم ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، الشهر والدهر مالنا طعام إلا كسر يابسة وملح ، وربما عدمنا الملح ، وبالأمس قد وجه اليه المعتضد مع بدر الف دينار فلم يأخذها ، ووجه اليه فلان وفلان فلم يأخذ منها شيئاً ، وهو عليل . فالتفت الحربي اليها وتبسم فقال لها : يا بنية إنما خفت الفقر ؟ قالت : نعم ، فقال لها : انظري الى تلك الزاوية فنظرت فاذا كتب . فقال : هناك اثنا عشر الف جزء لغة وغريب كتبتها بخطي ، اذا مت فوجهي في كل يوم بجزء تبيعيه بدرهم ، فمن كان عنده اثنا عشر الف درهم ليس هو فقير !

* * *

كان والد القاسم بن سلام مملوكاً رومياً لرجل من هراة من عمل خراسان فنشأ ابنه نشأة اسلامية عربية . وكأن أباه شعر بذكاء ابنه فقال يوماً برطانته العجمية لمعلم الكتاب الذي يتعلم فيه ابنه مع ابن مولاه : « علمي القاسم فانها كيسة » . ونبغ قاسم وعُرف في خراسان فضله ، فعهد اليه بعض الخاصة تأديب بنيهم ، على عادة العلية من الناس في تلك الأيام ، يدفعون الى العلماء اولادهم ليثقفوهم ويهذبوهم . ونزل طاهر بن الحسين شيخ قواد المأمون بمَرْوَ حين مضى الى خراسان ، فطلب رجلاً يحدثه ليلة ، فقيل له ما ههنا إلا رجل مؤدب ، فأدخل عليه ابو عبيد القاسم بن سلاّم ؛ فوجده اعلم الناس بأيام الناس والنحو واللغة والفقه فقال له : من الظلم تركك أنت بهذا البلد . فدفع اليه الف دينار وقال له : انا متوجه الى خراسان الى حرب ، وليس أُحب استصحابك شفقةً عليك ، فأنفق هذا الى ان أعود اليك . ولما عاد حمله معه الى سُرَّ مَنْ رأى ودخل بغداد .

وظلّ ابو عبيد على وَلائه لآل طاهر بن الحسين ، وأعلى ابنه عبد الله بن طاهر منزلته ، وهو من اعاظم قواد الخليفة المأمون ايضاً . وكان ابو عبيد اذا الف كتاباً أهداه الى عبد الله بن طاهر ، فيحمل اليه مالاً خطيراً استحساناً لذلك ، ولما انجز

كتابه « الغريب المصنف » وكان صرف في تأليفه ثلاثين سنة عرضه على عبد الله بن طاهر فاستحسنه وقال : « إن عقلاً بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق ألا يحوج الى طلب المعاش » فأجرى له عشرة آلاف درهم في كل شهر أي الف دينار . وعمل كتابه « غريب الحديث » للمأمون وما ندري بما كافأه عليه ، إن كان احد عماله يجري عليه في كل شهر الف دينار .

أدّب ابو عبيد في بغداد غلاماً في شارع بشر وبشير ، واتصل بعد بثابت بن نصر ابن مالك الخزاعي يؤدب ولده ، وأدب ايضاً ابناء هرثمة ، ولعله هرثمة بن اعين اعظم قواد المأمون وثقاته ، ولما ولي ثابت بن نصر الثغور ودامت ولايته ثماني عشرة سنة ، كان ابو عبيد يتولى قضاء طرسوس طول تلك المدة ، وحسن أثره فيها كما حسن أثر صديقه واليها .

وذكروا ان ابا عبيد لما كان في أسباب عبد الله بن طاهر بعث ابو دُلف القاسم بن عيسى العجلي احد ائمة البلاغة يستهديه أبا عبيد شهرين ، فأنفذه اليه ، فأقام شهرين في الكرج ، وهي مدينة بين همذان واصفهان ، مصرهـا ابو دُلف وجعلها وطنه ، وقلده الرشيد اعمال الجبل فلم يزل عليها الى ان توفي سنة ٢٢٥ واليها قصده الشعراء وذكروه في اشعارهم — ولما اراد الانصراف وصله ابو دُلف بثلاثين الف درهم فلم يقبلهـا . وقال: انا في جنبة رجل لم يحوجني الى صلة غيره . فلما عاد الى ابن طاهر وصله بثلاثين الف دينار فقال : أيها الأمير قد قبلتها ، وقد اغنيتني بمعروفك وبرّك ؛ فرأيت ان اشتري بها سلاحاً وخيلاً وأُوجه بها الى الثغر ليكون الثواب متوفراً على الأمير ، ففعل .

وهكذا عاش ابو عبيد بين أشراف القادة والسادة ، يعرف لهم مقامهم ويعرفون له قدره ، يتهادونه ويبرونه ، ويرغبون في الأخذ عنه ، ويعهدون اليه في تخريج ابنائهم . اما هو فلم تبطره الدنيا ، ولم تخلب لبه المظـاهر ، واشتهر بورعه وعفته وكرم نفسه وجوده ، حتى قيل فيه لو كان ابو عبيد في بني اسرائيل لكان عجباً . قالوا إنه كان يقسم الليل اثلاثاً ، فيصلي ثلثه ، وينام ثلثه ، ويصنف ثلثه . وكان فاضلاً في دينه وعلمه ربانياً قانتاً مفنناً « في اصناف علوم الاسلام ، صحيح النقل لم يطعن عليه في شيء من امره ودينه »

شهد اعلام الناس بعلمه ، ومنهم اسحق بن راهويه قال : يحب الله الحق ، ابو عبيد اعلم مني ومن احمد بن حنبل ، ومن محمد بن ادريس الشافعي . وقال بعضهم : إنه لم يكن عنده ذاك البيان ، إلا انه كان اذا وضع وضع . وقال ابراهيم بن الحربي : رأيت ثلاثة تعجز النساء ان تلد مثلهم . رأيت ابا عبيد ما أمثله إلا بجبل نُفخ فيه روح ، ورأيت بشر بن الحرث فما اشبهه إلا برجل عُجن من قرنه الى قدمه عقلاً ، ورأيت احمد بن حنبل فرأيت كأن الله قد جمع له علوم الأولين من كل صنف ، يقول ما يشاء ويمسك ما يشاء .

وسئل يحيي بن معين صاحب الجرح والتعديل — وهو الذي قال فيه احمد بن حنبل كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين فليس هو بحديث عن الكتابة عن ابي عبيد والسماع عنه ، فتبسم وقال : مثلي يُسأل عن ابي عبيد ؟ ابو عبيد يسأل عن الناس . لقد كنت عند الأصمعي يوماً اذ اقبل ابو عبيد . فنفذ اليه بصره حتى اقترب منه ، فقال : أترون هذا المقبل ؟ قالوا : نعم . قال : لن تضيع الدنيا — او لن يضيع الناس ما حيي هذا المقبل . وقال عبد الله بن طاهر . كان الناس اربعة : ابن عباس في زمانه والشعبي في زمانه ، والقاسم بن معن في زمانه ، وابو عبيد القاسم بن سلاّم في زمانه . وذكره الجاحظ في المعلمين وقال : كان مؤدباً لم يكتب الناس اصح من كتبه ، ولا اكثر فائدة .

غلب على ابي عبيد جمع المتفرق في الكتب وتفسيره ، وذكر الأسانيد ، وصنف المسند على حدته ، واحاديث كل رجل من الصحابه والتابعين على حدته ، واجاد تصنيفه فرغب فيه اهل الحديث والفقه واللغة ، لاجتماع ما يحتاجون اليه فيه . قالوا ان الناس رووا عن ابي عبيد بضعة وعشرين كتاباً في القرآن والفقه وغريب الحديث والغريب المصنف والأمثال ، وعانى الشعر ، وكتابته كتابة ارقى المؤلفين في القرن الثاني والثالث . والغريب المصنف زعموا انه اجلُّ كتبه ، وقالوا ان كتابه « الأموال » وهو المطبوع الذي نجا من التلف من جميع كتبه ، هو احسن ماصنف

في الفقه واجوده . وكتاب الاموال صورة ناطقة بعلمه الواسع ، وتحقيقه وتدقيقه ، يرجح من الاقوال ماهو أولى بالترجيح ، ويبين عن رأيه في أحكام الأموال وصنوفها ، آخذاً بالأقوال الصحيحة المأثورة عن صاحب الشرع ، ومشيراً الى عمل الصحابة والتابعين من بعده ، والى ما استخرجه الحكام والملوك من هذه الأموال بعد ذلك ، وفي كل أولئك يتجلى للقارئ نور العقل ، وبُعد النظر ووفرة العلم .

* * *

أما الرومي الثاني ياقوت فقد نفع التاريخ والجغرافية والادب بما نقل وحرر وبوب وصنف ، وكان مولد ياقوت عبد الله شهاب الدين في بلاد الروم سنة ٥٧٤ وأخذه المسلمون اسيراً وهو طفل واشتراه في بغداد تاجر يعرف بعسكر الحموي فنسب اليه فقيل له ياقوت الحموي كما قيل له الرومي وجعله سيده في الكتاب يتعلم ما يستفيد هو منه في ضبط متاجره وقرأ شيئاً من النحو واللغة وشغله مولاه بالأسفار وفي سنة ٥٩٦ أعتقه فاشتغل بالنسخ بالاجرة وحصل بالمطالعة فوائد . ودعاه مولاه القديم فأعطاه شيئاً وسفره الى كيش وعُمان ولما عاد من سفرته كان سيده قد مات فأعطى أولاده وزوجته ما أرضاهم به وبقيت بيده بقية جعلها رأس ماله وسافر بها وجعل بعض تجارته كتباً ، وسهل عليه ان يطوف الشام والعراق والجزيرة وخراسان واستوطن مرو ودخل خوارزم وجاء البلاد ما بين جيحون والنيل . وشهد غارات التتر في خراسان ايام كونه فيها ووصف أعمالهم في بلاد الاسلام وفقد ثروته غير مرة فعدّ من المفلوكين .

قيل انه كان طالع شيئاً من كتب الخوارج فاشتبك في ذهنه منها طرف قوي ، وتوجه الى دمشق في سنة ٦١٣ وقعد في بعض أسواقها وناظر بعض من يتعصب لعلي وجرى بينهما كلام أدى الى ذكره علياً بما لا يسوغ فثار الناس عليه ثورة كادوا يقتلونه فسلم منهم ، وخرج من دمشق منهزماً الى حلب وأقام فيها مدة عند وزيرها القفطي فأهداه كتابه معجم البلدان وفي حلب مات سنة ٦٢٦

ويدرك المرء بعد هذه الالمامة اليسيرة بسيرة ياقوت كيف ساعدته الاقدار

فدرس الكتب واستفاد من نسخها وزاده تنقله في البلاد توسعاً في المعارف فاطلع على مالم يطلع عليه غير قلائل من المؤلفين فكان ذلك مما ضاعف الامتاع بكتبه فكتب لها البقاء لحاجة الناس اليها ، ولأن صاحبها كتبها عن درس ومشاهدة وخبرة ، ويمتاز على غيره بأنه عرف جزءاً عظيماً من بلاد الاسلام معرفة اكيدة وأدرك الرجال والقي شيوخ عصره .

كان ياقوت رقيق العاطفة مرهف الحس دؤوباً على العمل يحمل نفساً زكية دراكة . كان صريحاً في قوله لا يدالس ولا يصانع يقول ما يعلم وان اغضب وارضى ، فيه صدع العلماء بالحق وصدق الصادقين من الرواة . قال عن نفسه اني كنت قدمت نيسابور في سنة ٦١٣ وهي الشاذياخ فاستطبتها وصادفت بها من الدهر غفلة خرج بها عن عادته واشتريت بها جارية تركية لا ارى الله تعالى خلق احسن منها خلقاً وخلقاً ، وصادفت من نفسي محلاً كريماً ، ثم أبطرتني النعمة فاحتججت بضيق اليد فبعتها فامتنع علي القرار ، وجانبت المأكول والمشروب حتى أشرفت على البوار ، فأشار عليّ بعض النصحاء باسترجاعها فعمدت لذلك واجتهدت بكل ما امكن فلم يكن الى ذلك سبيل لأن الذي اشتراها كان مولاً ، وصادفت من قلبه أضعاف ما صادفت مني ، وكان لها ميل اليّ يضاعف ميلي اليها فخاطبت مولاها في ردها عليّ بما أوجبت به على نفسها عقوبة فقال في ذلك قصيدة يصف الحال تقرؤها في مادة شاذياخ من معجم البلدان

ثلاثة كتب طبعت لياقوت اشتهر بها وخلد ذكره (معجم البلدان) و (المشترك وضعاً والمختلف صقعاً) و « ارشاد الاريب الى معرفة الاديب » . اوطبقات الادباء ، وكلها مما أحياه المستعربون من الغربيين لهذا الرومي المستعرب العظيم .

رتب المؤلف معجم البلدان على حروف المعجم وذكر فيه اسماء البلدان والجبال والاودية والقيعان والقرى والمحال والأوطان والبحار والأنهار والغدران والاصنام والاوثان معتمداً في تأليفه على من كتب قبله في تقويم البلدان من العرب وعلى اللغويين ودواوين العرب والمحدثين وتواريخ أهل الادب والنقط من افواه الرواة وتفاريق

الكتب وما شاهد في أسفاره وحققه بنفسه من اسماء البلدان ما عظمت به فائدته ٠

كان ياقوت محتاطاً فيما ينقله عن غيره قال مثلاً في احدى المدن : ولها قصة بعيدة من الصحة لمفارقتها العادة وانا بريء من عهدتها انما اكتب ما وجدته في الكتب المشهورة التي دونها العقلاء ٠ وقال فيما نقل عن الصين « وهذا شيء من أخبار الصين الاقصى ذكرته كما وجدته لا أضمن صحته ، فان كان صحيحاً فقد ظفرت بالغرض ، وان كان كذباً فتعرف ما تقوله الناس فان هذه البلاد شاسعة مارأينا من مضى اليها فأوغل فيها وانما يقصد التجار اطرافها » وكأنه بما ينقل من الاوهام والخرافات يحاول ان لا يخلي كتابه من كل أطروفة ولو كانت سخيفة ، ليستفيد منه الجاهل ويتفكه به العالم ، ويزيد به المتعلم الاديب درساً ، وقد توسع خاصة في الكلام على المدن التي أنشأتها العرب ٠

حرص في معجم البلدان على الالمام باخبار فتوح البلاد وعمرانها واموالها ومرافقها وعادياتها واخلاق اهلها ومن خرج منها من المشاهير وما وقع فيها من الوقائع التاريخية وما قيل فيها من الاشعار البديعة ، فأمتع قارئه بكل مفيد حسب ما وصل اليه علمه ، ووقع عليه في كتاب او استقراه بنفسه ونقله عن الثقات ٠ وهذا جماع مافي معجمه مما أدركه في عصره او اقتبسه من الاصول المتقنة في خزائن مرو قال : « كانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد واكثر ، وبغير رهن ، تكون قيمتها مائتي دينار فكنت ارتع فيها واقتبس من فوائدها وانساني حبها كل بلد والهاني عن الاهل والولد واكثر فوائد هذا الكتاب (معجم البلدان) وغيره مما جمعته فهو من تلك الخزائن ، وما كان له ان يفارق مرو لولا ورود التتر الى تلك البلاد ٠

ومن معجم البلدان فقط يتألف ديوان لطيف من المقاطيع والقصائد التي استشهد بها و كتاب في عجائب البلدان والخليقة واخلاق الناس وعاداتهم ودرجة الرفاهية والثروة في عصره او قبل عصره ٠ ويفيض في كلامه على الحواضر يذكر من خرج منها من الاعيان ولا سيما رجال الحديث وقد تظفر فيه بتراجم مطولة لرجال

أغفل اكثر مصنفي الطبقات ذكرهم . وهو كتاب خاص ببلاد الاسلام والشرق كتب بكثير من الاحتياط والتحفظ اذا وقع التنظير بين ما نقله وما نقله المؤلفون في عصره وبعد عصره . فقد قال في الروم مثلاً « وفي اخبار بلاد الروم اسماء عجزت عن تحقيقها وضبطها ، فليعذر الناظر في كتابي هذا ، ومن كان عنده اهلية ومعرفة وقتل شيئاً منها علماً ، فقد أذنت له في اصلاحه مأجوراً » وهذا ديدن العلماء في القديم والحديث يدعون العارفين الى تصحيح هفواتهم او الى نقدهم للوصول الى الحقائق .

أما كتاب « المشترك وضعاً والمفترق صقعاً » فقد انتزعه بنفسه من معجم البلدان واقتصر فيه على ما اتفق من اسماء البقاع لفظاً وخطاً ووافق شكلاً ونقطاً وافترق مكاناً وعملاً ، توفيراً لوقت المطالع الذي يحب السرعة في تلقف الفوائد ، وبعداً به عما ذكره في معجمه الكبير من الاشتقاق والشواهد والنكت والفوائد والاخبار والاشعار . ودعا ياقوت على من يختصر بعده كتابه معجم البلدان وما نجا مع هذا من أناس حاولوا اختصاره ، ومنهم صفي الدين عبد المؤمن اختصره وسماه « مراصد الاطلاع » .

بقي ان نطلق القول في كتاب ياقوت الثالث وهو « ارشاد الاريب الى معرفة الاديب » وفيه جمع ما وقع اليه من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والاخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين واصحاب الرسائل المدونة وارباب الخطوط المنسوبة وكل من صنف في الادب تصنيفاً ، مثبتاً وفياتهم ومواليدهم وتصانيفهم واخبارهم وأنسابهم وأشعارهم . قال فأما من لقيته أو لقيت من لقيه فأورد لك من أخباره وحقائق أموره مالا اترك لك بعده تشوقاً الى شيء من خبره وانه جمع للبصريين والكوفيين والبغداديين والخراسانيين والحجازيين واليمنيين والمصريين والشاميين والمغربيين وغيرهم على اختلاف البلدان وذلك على حروف المعجم أيضاً . وقال في الاعتذار عن نفسه ولمن يقول له ان الاشتغال بأمر الدين أهم ، ان هذه اخبار قوم عنهم أخذ القرآن والحديث وبصناعتهم تنال الامارة ويستقيم

أمر السلطان والوزارة وبعلمهم يتم الاسلام ، وباستنباطهم يعرف الحلال من الحرام ، وان كتابه هذا هو علم الملوك والوزراء والكبراء يجعلونه ربيعاً لقلوبهم ونزهة لنفوسهم ٠

قال وربما قال بعضهم انه (معجم الادباء) تصنيف رومي مملوك وما عسي ان يأتي به ؟ ان القوم لا ينظرون ما قيل انما يسألون عمن قال ٠ ولو عاش ياقوت ورأى اليوم بعد ان أتى على كتابه سبعة قرون كيف اشتهر كتاباه معجم البلدان ومعجم الادباء لا يستغني عنهما باحث ولا أديب وأثبتت الايام انهما من الكتب التي حوت كل طريف مفيد تزيد على القرون حسناً لاغتبط وأدرك أن ما كان يقدّر ان الناس يقولونه في كتبه قالوه في امثاله في كل عصر ثم ذهب لغط القوالين والطاعنين وثبت علم العالمين والمتأدبين الباحثين ٠

محمد كرد علي



نظرات لغوية

١ – تصدير

وقفتُ على ماجادت به يراعة الاستاذ احمد رضا وهو مقالة عنوانها (أسماء منتخبة لمسميات حديثة) (مجلة المجمع العلمي العربي ١٦ : ١٧) فأحببت ان أقول كلمتي في هذا الموضوع ٠

٢ – القِنْع والقِناع

ذكر حضرته هذين اللفظين ، وخصهما بما يقابله عند المعاصرين : « الطبق المتخذ للفاكهة يكون على موائد الطعام ، واكثر ما يكون من عُسب النخل ، او من قصب او من خيزران » ٠ وقد ذكر حديثاً نبوياً هو هذا : « وفي النهاية أنه صلى الله عليه وسلم أتي بقناع جرد (كذا) الجرد (كذا) صغار القثاء ٠٠٠ » والذي اعرفه في عبارة الحديث : أتي بقناع جرو[1] ٠ الجرو [بواو في كلا اللفظين] : صغار القثاء ٠ واما الجرد هنا فليس لهُ هذا المعنى ٠

والذي أعلمه أيضاً ان القناع والقنع من الكلام المعرب من قديم الزمان ، بل مُنذ عهد الجاهلية ، وهما من اليونانية Kaneon, Eou بهذا المعنى عينه ٠ وقد اشتقوها من قَنا Kanna ومعناها الأَسل ، والخيزُرَان ، والقصب ، والعسب (جمع عسيب) لأنهم كانوا يتخذون تلك القنع من هذه الموادّ المذكورة ٠ اما في العربية فليس ما يوجه هذا الوَضع ٠ زد على ذلك ان لا مقابل للقناع بهذا المعنى في الإِرَمية ولا في العبرية ولا في سائر اللغات السامية ، بخلاف القناع بمعنى ما تتقنع به المرأة فانها تُرى بهذا المعنى في الارمية والعبرية ٠ وكان اليونانيون الأقدمون يَضعون في القنع الاثمار والخبز والشعير التي يقدمونها في هياكلهم الوثنية (كل ذلك عن معجمنا المطوّل المسمى المساعد) وقد استحسنا ماذهب اليه المجمع بأن يُخص

---

(١) هذا الذي وجدناه في لسان العرب والنهاية وتاج العروس ولم نجد (الجرد) بالدال في الآخر بهذا المعنى ٠

القنع بالكسر لهذا الضرب من الطبق ويبقي القناع لما تغطي به المرأة رأسها (١٦ : ١٧ حاشية)

٣ - السفن

السفن بالتحريك اطلقه حضرته على مايسميه عوام سورية : ورق البرداخ ، وورق الزجاج . واما اهل العراق فيسمونه : كاغد السنباذج وهو كقول الافرنج Papier à l'Émeri . واما السفن[1] فقد اشتهرت عند الاقدمين بمعنى « جلد سمكة خشنة الجلد . ولا أرى في صدري حاجة الى وضع هذه اللفظة لما يعرفه العرب والعراقيون بكاغد السنباذج وذكر هذه الكلمة الاخيرة القاموس وتاج العروس والاوقيانوس وغيرها من كتب اللغة .

٤ - الحَسَك

لا أوافق الاستاذ احمد رضا على تخصيص الحسك بالسلك الشائك ، فيقع حينئذٍ في التاريخ ، و كتب اللغة ، خبط وخلط . فالحسك الذي وصفه الاستاذ يقابل الفرنسية Chausse-trape واما السلك الشائك فيقابله فيها Fil-barbelé والواحد غير الآخر .

٥ - الجَناح[2]

لما وصف الاستاذ اللغوي الجناح ، وصفه وصفاً صحيحاً ، ولما أراد تخصيصه بما اصطلح عليه المصريون : أدباؤهم ، ولغويوهم ، وعلماؤهم ، بالشقة وبالفرنسية Appartement لم يوفق ؛ فان الجناح يقابله عند الافرنج Aile d'un édifice واما

---

(١) راجع كتاب الذخيرة في علم الطب المنسوب ظلماً ووهماً الى ثابت بن قرة المطبوع في المطبعة الاميرية بالقاهرة سنة ١٩٢٨ وقد جاءت في ص ١١ بصورة السفن (كذا) والتصحيح منا .

(٢) فرق الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده بين الروشن والجناح في شرح نهج البلاغة المطبوع في بيروت عند شرحه لهذه العبارة : «ويل لسكككم العامرة ، والدور المزخرفة ، التي لها أجنحة كأجنحة النسور» إذ قال : أجنحة الدور رواشنها . وقيل : أن الجناح والروشن يشتركان في إخراج الخشب من حائط الدار إلى الطريق ، حيث لا يصل إلى جدار آخر يقابله وإلاّ فهو (الساباط) ، ويختلفان في أن الجناح توضع به أعمدة في الطريق بخلاف الروشن» اه كلام الشيخ .

قول الاستاذ ان الجناح « ورد في عامة بلاد العرب » .. (المجلة ١٦ : ٢٠) ، فغير موافق لما يجري في العراق .

٦ - الحيفة والطريدة

ماذكره الاستاذ نقلاً عن اللسان في مادة (ط ر د) : ان الطريدة : السفن وهي قصبة تجوّف ثم يفغر منها مواضع » هو من خطأ الطبع . والصواب مافي التاج ، أي : « ثم ينقر » اي يحفر . وانا لا أرى فائدة في إبدال الخراطة بالطريدة ، فالخراطة مولدة وقديمة . وأصلها يؤيد معناها ويوجهه توجيهاً حسناً . والبرّاءة : حسنة في مكان البرّاية واشتقاقها صحيح . وأما ما يسميه المصريون (المطوة) واصطلح عليه المجمع اللغوي المصري بالمبراة فالمبراة حسنة ، لكن احسن منها المدية ، بتثليث الميم ، على مافي كتب اللغة والمدية في أصل وضعها للشفرة وما (المطوة) إلا مدية في بيت تطوى فيه .

٧ — الدسكرة

هيهات ان توافق الدسكرة للطزر اي القلاّ . فالدسكرة يقابلها عند المصريين العزبة . وقد صرح بهذه التسمية غير واحدٍ منهم . وأما الطزر فمن الكلام الذي لا ينال لمناعته وفصاحته ، واذا كان يثقل على لسان بعضهم فهو لا يثقل على من يستعمل أثقل منها : كخلع ، وخلق ، وطرّز ، والطراز ، الى مالا يحصى عدّه .

والدسكرة بالفرنسية Ferme وهي العزبة عند المصريين والطزر من الفارسية تزر بتاء مثناة مفتوحة في الأول ، يليها زاي مفتوحة ، فراء ، وهي الكلمة التي تذكرها جميع معاجم الفرس كبرهان قاطع ، وبهار عجم ، وفرهنك شعوري ، وقلرس ، ومنتهى الارب ، في لغات العرب وهو معجم كبير من العربية الى الفارسية وقد وقع في أربعة مجلدات ضخمة .

واما قول الاستاذ اللغوي (ص ٢٢) : « وصاحب المخصص يقول : الطرز البيت الصيفي بلغة بعضهم » فهو عندنا مصحف عن الطزر ، بتقديم الزاي ، لوجود هذه

الكلمة (اي تزر) في جميع المعاجم الفارسية بمعنى البيت الصيفي ، بخلاف الطرز (بتقديم الراء على الزاي) ، فلا وجود لها البتة في كتاب قديم ، وقد ذكر الطزر الزمخشري ، وهو من هو في اللغة — في مقدمة كتاب الادب ص ٢٤ س ١٨ اذ يقول : « طَزَر : خانهٔ دراز » اي بيت طويل .

فقول الاستاذ : « والعجب كيف صار المجمع المصري الى اختيار الطزر بثقلها ، وما صحبها من التهجان (كذا) كاد يكون عامًا فيما رأيت ، ولم يختر الطرْز وهو يؤدي نفس المعنى المراد ، وموافق للأصل الفارسي » — فنحن نسأل حضرته في أي كتاب لغة فارسية وجد الطرْز بالكسر بمعنى البيت الصيفي . نعم . قد ذكره بعض العرب لكنهُ مصحف الطزَر (او تَزَر) الفارسية ليس إلاَّ . وأما الطرْز براءٍ فزاي فيعني في الفارسية الحسن والزينة والجمال .

فالنتيجة ان ما ذكرهُ مجمع فؤاد الأول للغة العربية هو عين الصواب وما سواه فخطأ لا يحتمل التفنيد ، ولا الجواب .

٨ — طيلة

ما قاله الأستاذ المغربي على سوء استعمال (الطيلة) في غير مكانها هو حاقُّ الصواب .

٩ — القصف بمعنى اطلاق القنابر على المدن

استحسن الاستاذ المغربي القصف لمعنى اطلاق القنابر على ديار الاعداء . ونحن لا نوافقه ، ولا يوافقه كل لغوي صميم ؛ عارف أسرار لغته . فالقصف في اللغة لم يرد بالمعنى الذي يشيرون اليه ؛ والتخريج الذي جاء به حضرة أستاذنا ؛ لا يرضى به اللغويون البصراء في لسان الضاد . والأحسن في هذا المعنى ان يستعمل (الصعق) لأنهم قالوا : « صَعقتهم السماء كمنعَ صاعقةً ، وهو مصدر على فاعلة كالراغية ، والثاغية ، والصاهلة للابل والشاء والخيل : اصابتهم بها . وفي حديث خزيمة ، وذكر السحاب : فاذا زجر رَعدَت ، واذا رَعدَتْ صَعقتْ أي أصابت بصاعقةٍ » اه (التاج) .

فاذا أطلق الأعداء من طياراتهم تلك القنابر ، فكأن السماء نفسها ترسلها فتصعق الناس وديارهم . فهذه الكلمة هي التي تستعمل في هذا المعنى دون غيرها .

وقولهم : القنابل فكلام غير صحيح . فالقنابل في اللغة جمع قنبل وقنبلة كجعفر وزلزلة ، وتعني كل منهما : الطائفة من الناس . ومن الخيل ما بين الخمسين فصاعداً . وقيل : مابين الثلاثين الى الاربعين . فأين هذا من القنبرة التي استعملها المولدون لهذه الكرة المجوفة المحشوة باروداً ومفرقعات مختلفة . قال المرادي (المتوفى سنة ١٢٠٦ للهجرة) في سلك الدرر في ١ : ٥٥ : « ثم بعد أيام ، حاصر القلعة الدمشقية ، ونصب لها الأطواب (أي المدافع) من المرج الأخضر وضربها بالقنابر » . قال الناشر في الحاشية : « قنابر ، أصله خمبرة ، بضم الخاء المعجمة ، وسكون الميم ، وفتح الباء الموحدة والراء . كلمة فارسية . فقمبر محرف والمؤلف سمعه في الشام محرفاً على محرف بالنون ، وجمعه حتى أدخل عليه حرف التعريف . وقال القنابر ، وألحقها على الأطواب تعريباً ... » اهـ .

وفي ٢ : ١٨٤ منه : « واستعد لذلك استعداداً عظيماً في البحر والبرّ وأنزل بالمراكب (كذا) والجبخانة والمدافع والقنابر » ... ورمى عليها بالمدافع والمكاحل والقنابر » اهـ . وفي سنة ١٢١٣ للهجرة (اي ١٧٩٨ للميلاد) كتب السيد خليل البكري ، نقيب أشراف الديار المصرية رسالة طويلة : ذكر فيها الأهوان (أي مدافع الهاون) والقنابر (راجع كتاب الانيس المفيد للطالب المستفيد ٣:٣٥٧) فمن هذا نتحقق ان رواية الأقدمين من السلف ، ممن عرفوا القنبرة أو سمعوا بها لأول مرة ، كانت بالراي (أي القنبرة) ، لا باللام اي القنبلة .

وجاء في مقالة الاستاذ ص ٣٦ : « جلجة الرعد » ونظنها جلجلة الرعد ، وتلك من خطإ الطبع .

وقال في تلك الصفحة : الديبلوماسيون . ولو قال : الدبلوماسيون بحذف الياء الأولى لكان أقرب الى الصورة العربية . ثم لو استغنى عن الكلمة التي نطق بها

بقوله السياسيون ، لكان أحسن ؛ ففي مثل هذا المقام لا يُطلب من الكاتب الدقة في النقل ، بل ما يقارب المعنى .

١٠ — المحارب والحيادي والمسالم

فهمنا المحارب والمسالم لكن لم نفهم الحيادي (ص ٢٦ و ٢٧) ولماذا لم يقل المحايد . افيقول مجانب من جانبه أم يقول : مجانبي وجنابي ؟ فالذين قالوا حيادي في المحايد ، هُمْ قوم من زعانف الكتاب وجهلتهم . والعراقيون لا يقولون إلا محايد ومحايدين .

١١ — المحارب واللامحارب او العُدى (بالضم) والعِدى (بالكسر)

يعرض علينا الاستاذ المغربي ان نستعمل العدى والعدى في مكان المحاربين واللامحاربين ونحن لا نوافقه لأسباب ، أولها : أن الفرق بين الكلمتين ضبط الكلمتين وأغلب الجرائد والصحف والمطبوعات تُهملُ التقييد . — الثاني : ان المعنيين اللذين أشار اليهما ، منقولان عن لغويين حديثين معاصرين كثيري الاغلاط والأوهام ، وقد قلنا مراراً انه لا يحتج بكلام أحد اللغويين المعاصرين او المحدثين ، إلا اذا أسند كلامهُ الى نقل الاقدمين ، او اتفق كلامهم مع كلام الصرفيين والنحاة ، واللغويين القدامى . — الثالث : ان هذا التفريق بهذا الشكل دقيق ، والناس في حاجة الى جلاء اللفظ والمعنى من غير الالتجاء الى كتب اللغة والمعاني والبيان . — الرابع : ان قولنا محارب وغير محارب لا غبار عليه . وكذلك القول محارب ولا محارب . فالتعبير (بغير) من كلام الأقدمين ، والتعبير (بلا) من كلام فصحاء المولدين وقد رضي به المجمع .

فاستعمال (غير) في غير محارب لا يشبههُ تعبير أجلى منه ، ألا ترى أنه ورد في فاتحة الكتاب : « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمتَ عليهم « غير » المغضوب عليهم » وكان يستطيع أن يقول مثلاً الذين رضيتَ عنهم . لكنْ في قوله : « غير المغضوب عليهم » حلاوة وقوة وأمر غير موجودة في ماورد من مرادفاتها .

وفي سورة النساء : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً » . فاستعمال « غير » في مثل هذين الحرفين اكثر من أن يحصى في آيات عديدة .

وأما ادخال لا (على) كلمة ثانية فقد ورد في كلام الأقدمين منا . قال عامر بن الظرب العدواني من خطباء الجاهلية : « اني أرى أموراً شتىّ وحتىّ . قيل لهُ : وما حتىّ ؟ قال : حتى يرجع الميتُ حياً ، ويعود (اللاشيْ) شيئًا » اه . وقال الفلاسفة والمناطقة : اللاأدرية ، واللادوام ، واللابقاء ، واللانهاية ، واللاضرورية ، واللادائمة ، الى نظائرها وهي كثيرة في مصطلحاتهم . وكان يمكنهم ان يستغنوا عنها ، ويضعوا كلمة واحدة تدل على مبتغياتهم ، لكنهم لم يفعلوا ، لأنهم وجدوا في هذه الاوضاع معاني لا تؤديها الالفاظ الأخر المرادفة لها .

ثم لا نفهم لماذا قال الاستاذ En état de guerre ليقابل بها Non belligérant وكان يحسن به ان يقول في الاول Belligérant

١٢ — حرب الدولة الفلانية لا مع الدولة الفلانية

ونرى كثيرين من أرباب الصحف والمجلات ، بل من فريق من المؤلفين يقولون « الالمان يحاربون الآن « مع » الروس » وهذا خلاف ما يريدون . والصواب ان يقال : الالمان يحاربون الروس ، لكنهم يحاربونهم « مع » الايطاليين . وقد انتقل هذا الخطأ الى فصحاء الكتاب حتى قال استاذنا رئيس المجمع : « بذكر اضطرابها بين الحجاز ونجد وأطراف الشام وحروبها مع طيْ » (ص ٤٦) والصواب وحروبها لطيْ .

١٣ — الكهربا لا الكهرباء والكهربي لا الكهربائي

ولا أزال أرى في مجلة المجمع تكرر الغلط الكهرباء بالمد والكهربائي ، بهمز قبل الياء . وقد قرّر مجمع فؤاد الأول للغة العربية ان صحيح الاستعمال هو : الكهربا بالقصر والكهربي في النسبة وراجع تاج العروس في كهرب .

١٤ – البدء بالتاريخ

وقال الاستاذ السيد محمد سعيد العرفي : « ارجو ان تلفتوا نظر الحكومة لاستعمال الاعداد حسب القواعد العربية بالبدء من اليمين والعدول عن التراكيب التركية ٠٠٠» (ص ٩٦) ٠ ولكن العرب أجازت الاستعمالين قال احمد فارس الشدياق في غنية الطالب ، ومنية الراغب ص ١٠٧ من الطبعة الاولى : « أما المعطوف في العدد ، فجائز ان يكون القليل أو الكثير ٠ تقول : عندي مائة وخمسون نعجة ، او خمسون ومائة نعجة ٠ وفي الحديث : « فذلك خمسون ومائة في اللسان ، والف وخمسمائة في الميزان » فجمع بينهما ٠ أما في التاريخ ، فالاشهر تقديم القليل على الكثير نحو : سنة ست وثمانين ومائتين والف ٠ وليس بواجب » انتهى ٠

١٥ – فرنسي لا فرنساوي

قرأت مقالة لأحد أعضاء المجمع العلمي العربي ، يذكر فيها اللغة الفرنسوية (ص ١٧٥) والنصّ الفرنسوي (ص ١٧٨) والأداتين الفرنسويتين واستعمالاتها الفرنسوية (ص ١٧٩) والأداة الفرنسوية وبالفرنسوية (ص ١٨٠) وفي الفرنسوية والانشاء الفرنسوي (ص ١٨١) فتعجبت من هذا الاستعمال المغلوط فيه ، والكاتب من أعضاء المجمع أفلم يقرأ في كتاب سيبويه ٢ : ٧٨ من طبعة القاهرة : « هذا باب الاضافة الى كل اسم كان آخره الفاً وكان على خمسة احرف ٠ تقول في حُبارَى : حُبارِيّ ، وفي جُمادَى : جُماديّ ، وفي قرقرى : قرقريّ ٠ وكذلك كل اسم كان آخره الفاً ، وكان على خمسة احرف » إذن يقال في النسبة الى فرنسا : فرنسي والى مصطفى : مصطفيّ ، والى مرتضىً مرتضيّ ٠ واما النسبة الى مثل النمسا ، فيقال فيها نَمسيّ ونَمسِوي ونمساويّ ، كما يقال في النسبة الى حُبلى : حُبلوي وحُبلاوي وحُبليّ (كتاب سيبويه ٢ : ٧٧) وأفصحهن حُبليّ ونَمسيّ ٠

واما اذا كتبتَ فرنسة بهاء في الآخر ، وهو احسن من كتابتها بالألف ، جرياً على ما سار عليه العرب في كتابة اسماء المدن الاندلسية ، إذ لم يكتبوا

اسم مدينة واحدة منها بألف في الآخر ، بل كتبوها كلها بالهاء : كغرناطة ، وبلنسية ، وطليطلة ، وسرقسطة ، وطرطوشة ، ومرشانة ، وباجة ، ولشبونة ، وقطلونية ، الى مالا يحصى عدّه — فالنسبة اليها والى أمثالها بالياء . فيقال : فرنسي كما يقال : غرناطي ، وبلنسي ، وطليطلي ، وسرقسطي ، وطرطوشي ومرشاني ؛ وباجي ، ولشبوني ، وقطلوني الى نظائرها ولا يقال خلاف ذلك . بخلاف كتاب هذا العصر فانهم يفسدون الألفاظ . قلنا : وبهذا القدر كفاية لما ورد في الاجزاء الستة الاولى ، من غير الامعان في البحث عما ورد فيها من أوهام الطبع وغير الطبع . والله الواقي .

الأب أنستاس ماري الكرملي



اولية تدوين المعاجم

وتاريخ كتاب العين المروي

عن الخليل بن احمد

(الخاتمة)

٤ — صورة اتمام الكتاب بعد تأسيس بنائه : —

رأينا مع دليل من التاريخ واضح ان الخليل هو الذي رتب ابواب كتاب العين ووضع نهجه وصور بناءه ، ولم نر احداً من اهل العلم ينفي عمله هذا بدليل الا ان يكون نتفاً من ترتيب الحروف على مخارجها ، ذهب على بعضهم حاجة الخليل الى جعلها مخالفة لما روى عنه بعض تلامذته ، وذلك قياماً عند ضرورة التأليف الواضح والنهج المستقيم . وتنتهي معرفتنا باليقين للكتاب الى هذا الحد الذي رسمناه ، ويتسرب الشك في نفسنا بعد ذلك حيث لا نرى نصوصاً تاريخية قويمة تذكر بالدليل الثابت أثراً للخليل في الكتاب ابعد مما ذكرنا .

ولكنّ للريب الذي ينبعث حداً ، فلئن فقدنا أقوال التاريخ الثابتة فلن نعدم دليل العقل والمنطق ، ولن يعوزنا الا عرضه على ما نعرف لنستدل على صحته . ولنقرر قبل أي شيء آخر مبادئ لا نخطئها : أولها ان علم الخليل في اللغة والصرف من الثقة بحيث لا يتسرب اليه الاضطراب ، فما يعرض من خلل لغوي أو صرفي في الكتاب فالخليل براء منه الا ما ندر . ومبدؤنا الثاني ان الليث ، على ما عرف عنه من تقى وورع ، صادق فيما ينسب الى صاحبه الا اذا أخل بالمبدأ الأول ، حتى اذا لم يخل به أصبح كلامه حجة . فاذا قرنا هذين النظرين قسنا عليهما ؛ فنظرنا في الخطأ الذي ورد في كتاب العين ، مما ذكره العلماء ، وحاولنا ان

نعتبر صدق الليث به ، فما هي دعواه ، وهل نستطيع ان نوفق بينها وبين الاضطراب الواقع في الكتاب ؟

ينسب الليث الكتاب الى أبي عبد الرحمن الخليل بن احمد ، ويريد بذلك انه مبدعه وواضع نهجه وشيئاً آخر نراه فيما يلي ، ولا يقصد بذلك ان الخليل الف الكتاب برمته . ودليلنا على ذلك ان الليث نفسه يقول : كان الخليل « يملي علي ما يحفظ ، وما شك فيه ، يقول لي : سل عنه ، فاذا صح فأثبته الى ان عملت الكتاب » [١] . وقوله هذا يثبت ان الخليل لم يضع الكتاب كاملاً ، وان الذي أتمه ووضعه على صيغته النهائية هو الليث نفسه ، كما يوضح ذلك قوله : « الى ان عملت الكتاب » . وما أتمه الا معتمداً على أقوال العلماء الذين استفاد من علمهم ، ولم يذكر استفادته فنسب اليهم أقوالهم وآراءهم ، وذكر اسمهم في الكتاب ، وجلهم من الأعراب الذين حلوا خراسان كزائدة [٢] وابي ليلى وعرام والضرير [٣] ، ومنهم العراقيون كسيبويه [٤] والاصمعي وابن الاعرابي وابي عبيد [٥] . ولا يدخل في هذا الشأن اسماء وروايات متأخرة في الزمن عن هؤلاء ، ولعلها كانت تعليقات على الكتاب ثم أضافها الوراقون الى أصله ، فقد ظهر على ما يقول ثعلب « اختلاف في نسخه واضطراب في رواياته ، ووقع فيه الحكايات عن المتأخرين والاستشهاد بالمرذول من أشعار المحدثين » [٦] . وكل ذلك مما لا نقع تبعته على الخليل او الليث ، وليس لنا كما فعل الزبيدي [٧] ، ان نتخذ من ذلك حجة على ان الكتاب ليس

(١) في كتاب العين رواية ابن درستويه (الفهرست ٤٣ ، إرشاد الأريب ٦ : ٢٢٧ .)

(٢) في مادة عدق من كتاب العين ص ٦٧ وفي مادة عجر ، عن دروس الأستاذ مارسيه نقل الأستاذ الكناني . (٣) عن دروس الأستاذ مارسيه نقل الأستاذ المبارك .

(٤) في مادة جدع من كتاب العين ص ٦٢ . ويرى الأستاذ مارسيه أن الكتاب عرض عليهم فكانوا يبدون رأيهم في مواده . (٥) المزهر ١ : ٤٢ .

(٦) في المزهر ١ : ٤٢ نقلاً عن الزبيدى في استدراكه يقول ابن فارس في المقاييس (نسخة المجمع ص ٢٥٠) بعد أن ذكر بيت شعر سخيف من كتاب العين :« وأرى كتاب الخليل إنما تطامن عند أهل العلم لمثل هذه الحكايات » . (٧) النص السابق من المزهر

للخليل، وكل ما علينا ان لا نثق بهذه الروايات ثقتنا بها كما لو كانت من اصل الكتاب .

على أن الأمر لا يقتصر على ذلك بل الكتاب يتضمن أخطاء يجل مقام الخليل عن نسبتها اليه ، وتلك هي كما يعددها الزبيدي ويحتج بها على ان الكتاب ليس للخليل : « ادخال الرباعي المضاعف في باب الثلاثي المضاعف ، وهو مذهب الكوفيين خاصة ، وعلى ذلك استمر الكتاب من أوله الى آخره ... ولو ان الكتاب للخليل لما أعجزه ولا أشكل عليه تثقيف الثنائي الخفيف من الصحيح والمعتل والثلاثي المعتل بعلتين ، ولما جعل ذلك كله في باب سماه اللفيف ، فأدخل بعضه في بعض ، وخلط فيه خلطاً ، لا ينفصل منه شيء عما هو بخلافه ، ولوضع الثلاثي المعتل على أقسامه الثلاثة ليستبين : مثل الياء من معتل الواو والهمزة ، ولما خلط الرباعي والخماسي من أولها الى آخرهما . »[1] انها لأخطاء فادحة كما ترى ومعظمها يرجع الى أصل بناء الكتاب لأنها ابواب مفردة منه ، وقد رأينا ان لا شك في ان الخليل هو الذي وضع نهج الكتاب وابوابه ، فكيف نعللها ؟ لا تعليل لها الا فرضها ملحقة بالكتاب بعد وفاة الخليل مع البرهان على أن موضعها لحظ في وضع الكتاب الأصلي وعَزُب عن بال الليث فألحقها خطأ . والحق ان هذا الفرض صحيح والبرهان ممكن . ألم تر ان الخليل لا يعتد بالمضاعف من الابنية فلا يُدخل فيما أحصاه من كلام العرب الالفاظ التي يتكرر حرف من حروفها[2] ، وكذلك فالثنائي الخفيف من الصحيح يدخل عنده في أبنية الثنائي وكذلك المعتل منه والثلاثي المعتل بعلتين . الا ان الخليل ادرك ذلك حين تعداده الابنية ورسمها ، ولكن الليث ظن انه لم يلحظها فجمعها في باب خاص اسماه اللفيف ، كما ان الليث اخطأ « من جهة التصريف ، فذكر حرفاً مزيداً في مادة أصلية او مادة ثلاثية في مادة رباعية » ، وهذا مما عيره به الزبيدي وعدده في جملة أخطاء الكتاب فتتبعه السيوطي[3] ولم يجد غيره مما يعير به الكتاب . وماذا يعني وجود هذه الاخطاء الا ان الخليل وضع

---

(١) المزهر ١:٤٣ وكشف الظنون مختصراً ٢:٢٩٠ وانظر في هذه المقالة ص ٨٤٦ من مجلة المجمع العلمي العدد ١٠ المجلد ١٦

(٢) المزهر ١:٣٧ وبغية الوعاة ٢٤٣

(٣) المزهر ١:٤٣

ابنية العرب وميز المهمل من المستعمل منها دون ان يأتي على ذكر مشتقاتها ، ولو فعل ذلك لما تسرب الخطل الى الكتاب .

وبعدُ فهل يدعي الليث خلاف ذلك ؟ انه ان فعل فقد ثقتنا . ولكنه لم يفعل بل هو يؤيد قولنا حين يستفسر من الخليل عن علة عده بناءً ما مهملاً وحين يسأله عن معنى المشتقات فيقول في الحالة الاولى وقوله في كتاب العين : « من أين قلت عكش مهمل »[1] . ويقول في الثانية في الكتاب نفسه : « قلت للخليل اذ لقيته : ماذا تقول في الخلع ، قال الخلع ضرب من البسيط وأورده »[2] . ان كل ذلك إلا يدل دلالة بينة على ان الخليل لم يأخذ على نفسه تحشية ابواب الكتاب بل ترك ذلك الليث ، على ان يستشيره ويهتدي بهديه .

وهذه النتيجة التي يفضي اليها البحث تجد مصداقاً لها في الألفاظ التي وُجدت مصحفة في كتاب العين ، فذكرها الزبيدي ونقلها عنه السيوطي[3] . وليس بينها ما يشك في انه مصحف في أصل بنائه الا لفظين : اللخج والترم ، قال الزبيدي ان لا وجود لهما . ولكن الفيروزبادي خالفه في ذلك فذكر اللخج وقال هو « أسوأ الغمص »[4] وذكر الترم وقال « هي وجع الخوران »[5] وكذلك فلا يمكن تأييد قول الزبيدي فيهما دون جدال . والذي يبقى أن التصحيف يقع في الكلمات المشتقة او عرضاً في وضع معنى مشتق لبناء من الابنية مصحف . وهذا تأييد لما قلنا ، من أن الخليل لم يضع بنفسه اشتقاق الكلمات ولا معانيها ، بل عهد بذلك الى الليث .

وهكذا يبدو واضحاً ان الليث لم ينسب الى الخليل غير ماقال فكان صادقاً في دعواه ، وحق لنا أن نثق به . اما ان يكون اخطأ فيما عهد به اليه الخليل ، فذلك يرجع الى انه لم يكن في معرفة اللغة بمكان وثيق . ثم إن الاخطاء التي وقع فيها بسيطة ، لا كبير شأن لها . اسمع ما يقوله السيوطي بعد ان تتبع الأغلاط من كتاب

(١) كتاب العين ص ١٥٣ عن دروس الأستاذ مارسيه في مذكرات الأستاذ المبارك .

(٢) كتاب العين مادة خلع عن دروس الأستاذ مارسيه . (٣) المزهر ٢: ١٩٣ — ١٩٦ . وانظر مايقوله ثعلب في تصحيف كتاب العين (ارشاد ، طبعة فريد الرفاعي ١٧ : ٤٤)

(٤) القاموس ، وانظر تاج العروس ٢: ٩٦ (٥) القاموس وانظر تاج العروس ٨: ٢١١

العين التي نوه بها الزبيدي في استدراكه عليه قال : « وقد طالعت استدراك الزبيدي الى آخره فرأيت وجه التخطئة فيما خطئ فيه ، غالبه من جهة التصريف والاشتقاق . وبعضه ادعي فيه التصحيف ، واما انه يخطأ في لفظة من حيث اللغة ، بأن يقال هذه اللفظة كذب ، او لا تعرف ، فمعاذ الله لم يقع ذلك . »[1]

وهنا يجول في الذهن سؤال كبير الشأن ، عظيم النتيجة ، وهو : كيف صح لليث ان لا يخطئ في سرد معاني الكلمات مع انه اخطأ فيما هو دون ذلك بكثير : اخطأ في التصريف وصحف في الألفاظ ؟ والجواب عن ذلك لا يخرج عن شيء واحد ، وهو انه ليس الذي وضع معاني الالفاظ وتحراها ، ولو فعل ذلك لامتلأ الكتاب خطأ ، فهو كما يدعي ذلك في نسبته الكتاب الى الخليل اخذها منه . ولكن كيف يأخذ عن الخليل معاني الكلمات (مما يشعر بأن الكتاب قد تم) ثم يغير في أبواب الكتاب ويخطئ في توزيع الكلمات في ابواب الكتاب وكيف يأخذ عن الخليل معاني الكلمات ثم يصحفها ؟ لا جواب عن ذلك الا انه خلا ما املى عليه الخليل او سأله عنه ، اخذ منه ما كان جمعه ودوّنه في صحفه من معاني الالفاظ . ويشهد سيبويه بكثرة تدوين الخليل للغة حين سأله ابو بكر بن السري قائلاً : « هل رأيت مع الخليل كتباً يملي عليك منها ، فقال : لم اجد معه كتباً الا عشرين رطلاً فيها بخط دقيق ما سمعه من لغات العرب ، وما سمعت من النحو فاملاء من قلبه . »[2] اما إن هذه الارطال العشرين ذات الخط الدقيق كافية لأن يدون منها كتاب اكبر من كتاب العين ، فهل يشعر الخليل بدنو أجله او ببعد يده عن كتاب العين فيبخل بها على الليث ولا يوصي بها اليه ، والكتاب كتابه والوضع وضعه ؟ الا ان المنطق يقضي بقبول هذه الفكرة ، لا سيما وهي تفسر كيف وقع التصحيف ، والتصحيف لا يكون إلا بالنقل من خط غير معجم لا بشيء آخر وهي تفسر كيف وقع الخطأ في اشتقاق الكلمات حين عمد الليث إلى توزيع

(١) المزهر ١ : ٦٣ . (٢) تهذيب التهذيب ٣ : ١٦٤ .

ماكتب في صحائف الخليل على أبواب الكتاب ، وكيف أنه خيل إليه أن بناء الكتاب تنقصه الأبنية المضاعفة والمعتلة بعلتين فأضافها في آخر الكتاب بباب أسماء اللفيف ٠

الخلاصة ٠ — وهاك الآن زبدة ما تظهره نتيجة البحث عن تاريخ كتاب العين : أقام الخليل زمناً يفكر بحصر أبنية اللغة العربية ، وأدى به حسن خاطره وصفاء قريحته إلى الرجوع إلى عناصر الكلمة العربية ألا وهي الحروف ، فاتخذها سبيلا إلى حصر ألفاظ اللغة العربية بضرب بعضها ببعض مرة للحصول على الثنائي وضرب ماخرج معه من الثنائي بالأحرف نفسها لاستخراج الثلاثي وابنية الثلاثي بحروف العربية للبلوغ إلى الرباعي وأبنيه الرباعي بها للوصول إلى الخماسي ، وذلك بعد ترتيب الحروف على مخارجها في النطق حصراً للمهمل من الألفاظ بأمكنة متقاربة ، وأغلب المهمل إنما يتركب من حروف متقاربة المخرج أو مما لم يدخل فيه حرف من الحروف الحسنة للنطق أي حروف الذلاقة ٠ واضطره أسلوبه في الحصر المتقارب للمهمل أن يغير شيئاً من ترتيبه الأول لمخارج الحروف مما كان لقنه لسيبويه ٠ وبعد أن انتهى من عمله هذا وضبط أبنية اللغة ضبطاً لايدخلها فيه خلل وجد أن أسلوبه في الحصر مكنه من ترتيب الأبنية على حروفها فأشار إلى ذلك في مقدمة كتابه فكان مبدع الترتيب على الحروف دون أن يعرف طريقة اليونان في ذلك وكان يطلع أحد تلامذته أو أصدقائه — الليث بن المظفر — على مراحل عمله فيجد منه اهتماماً شديداً ، ولعله شعر بعدم استطاعته إتمام الكتاب بنفسه فناوله إياه ، وصار يملي عليه شرح بعض فصوله ومنها مقدمة الكتاب على الأغلب ، ويطلب إليه أن يسأل عما تعسر عليه معرفته ٠ ثم شعر بدنو أجله أو باضطراره إلى ترك الكتاب ، فأوصى أو قدم لتلميذه صحائفه في اللغة كان سمعها من الاعراب ونقلها عنهم ، وبعضها من ملاحظاته اللغوية خلال حياته ٠ وكان قد اجتمع في هذه الصحف التي تزن عشرين رطلاً مفردات ومشتقات عديدة كان على الليث أن يوزعها في طيات

الكتاب حيث يقتضي مصدر اشتقاقها ، غير أن الليث لم يكن أماماً في اللغة ، لا بل لم يكن قديراً . وكان إلى ذلك قد قرأ التصريف والنحو على القاسم بن معن المسعودي [1] (— ١٧٥ او ١٨٨ والأول أصح) والقاسم هذا عالم من علماء الكوفة ، ولم يكن علم الكوفة بالتصريف والنحو عالي القدر عند غير الكوفيين ، فامتد أثره إلى كتاب العين وانضم إليه بعض الضعف في معرفة الليث . فظهر في الكتاب خطأ من حيث توزيع الاشتقاق على الأبنية وظهر تصحيف في ألفاظه التي لم يستطع الليث أن يضبط أعجامها من صحائف أستاذه . وزاد الأمر خطورة أن الليث عمل بنصيحة أستاذه فسأل كثيراً من الأعراب واللغويين عن اشتقاقات لم تنكشف له معانيها وأصولها ؛ ونسب أقوالهم وأجوبتهم إليهم ، فكان هذا مما أخذ على الكتاب وقد ذكر أن مؤلفه الخليل . على أن كل ذلك لم يستنفد المشتقات أجمع ، وبقي منها عدد لم يذكر ، ولم يرو الكتاب عن الليث إلا بعض أصحابه ، ووقع بين أيدي الوراقين فأضافوا إليه ماخيل إليهم أنه يزينه في أعين الناس . ورأى علماء العراق هذا الكتاب وشعروا بضعفه هذا فاستنكروه وأبوا أن يقروا له بجلالة قدره إلا قليلاً منهم . ولما نبذه بعض العلماء كثر المتهجمون عليه . واعتز بعضهم بزيادة ألفاظ مشتقة عليه بما يقرب من ضعف الكتاب ، وتجرأ بعضهم فاعترض على المادة التي وضعها الخليل بنفسه ، وهي تمييز المهمل من المستعمل [2] فكان من أمرهم شطط فانتصر فريق من العلماء للكتاب وخطأ بعضهم بعضاً ، وأثبت ذلك أن في الكتاب أشياء حكم وضعها فلا تنقض . وفيما كان العلماء يتجادلون فيه ، كانت مادته ونهج تأليفه ينتشران في المعاجم التي تبعته والتي نسجت على منواله دون فارق كبير : من مختصر له أو مغير لترتيب حروفه أو موسع لبعض فصوله . أما الكتاب نفسه فقد ظل منبوذاً محسوراً يساعد على انتشار اللغة العربية دون أن يظهر ، وإذا بالمعاجم تنمو ، وإذا باللغة العربية تضبط ضبطاً ما كان ليتهيأ لها لولا الخليل بن أحمد

---

(١) إرشاد الأريب ، طبعة فريد الرفاعي ١٧ : ٦ (٢) انظر ذلك في الفهرست ص ٦٣

فيما وضع وأبدع ، ولولا الليث بن المظفر فيما أقدم عليه بشجاعة وإخلاص ، فاللغة العربية مدينة لهما ماشاء الله أن تعيش ، وستحيا طويلاً .

هذه قصة كتاب العين في ماضيه ، وهي قصة فيها سوء حظ عظيم ، ولكن أليس من الغرابة أن يتابع سوء البخت كتابنا حتى عصرنا هذا ، فلا يقيض الله له في شخص الأب انستاس ماري الكرملي ناشراً عالماً مدققاً يشرع في إخراجه بالطباعة ، حتى يرسل الحرب العامة سنة ١٩١٤ فتوقف طبعه عند جزء صغير منه ، على أن هذا الجزء نفسه يحمل مكر الدهر بأصله ، فلا ينتشر إلا بمقدار هزيل ، حتى لاتكاد ترى منه اليوم نسخة في دمشق .

ولا ندري أيكون مستقبله أبهى من ماضيه وحاضره فيعزم العلامة الكرملي على طبعه كاملاً ، توآزره في نفقاته وزارة المعارف العراقية ، التي لها أن تفاخر بأن واضعه ممن نشؤوا في العراق ورفعوا اسم البصرة عالياً ، أم يأتي الإهمال على النسخة او النسختين المخطوطتين الوحيدتين منه ، فتفقد اللغة العربية اول معجم واشرفه ، فيه ذكاء الخليل وعلمه وتتبعاته مما روى عنه تلميذ تقي لايعرف الكذب . وما اجل علم الخليل في اللغة ، وما احسن ماينقل عنه فيها .

(انتهى البحث)

يوسف العش

—>ooo<—

جواهر الخلفاء العباسيين

كان لرفيف الحضارة أيام العباسيين اثر كبير في رقي العواطف والأذواق ، والاندفاع نحو الترف والبذخ ، ولعل الجواهر والخواتيم والتيجان والوشح المرصعة والقلانس المجوهرة والقضبان العاجية الثمينة والأعمدة المذهبة ، كانت اكبر مظهر من مظاهر ترف الخلفاء وبذخهم ؛ثم تعدوا ذلك الى ماهو ابعد واروع ، فزينوا الحيطان والسقوف والأبواب والرواشن بالدر وحلوها بمثل حليهم[1]

وكانت الجواهر منذ الزمن البعيد ، قنية للأكاسرة ، يلتقطونها من كل مكان ، ويرسلون في اثرها الرسل ويجودون بالمال ، وكانت هذه الجواهر مجتمعة من لدن اردشير بن بابك يرثها عنه القائمون بعده كابر عن كابر ، حتى إذا ما جاء الاسلام ، وقوض عرش كسرى ، القت فارس الى الدولة العربية جواهرها وأفلاذها ، على أن هذه الكنوز لم تجد عند الخلفاء الراشدين هوى ، ولم يكن لهم ميل الى هذه الأعراض الدنيوية ، فصدفوا عنها ، وصرفوهـا الى سائر المسلمين . ولم يكن لبني أمية شغف بالغ بأشباه هذه الأمور ، فقد كانت دولتهم عربية لم يترعن فيها غير نفر او نفرين ، فاتسعت الجواهر المذكورة في ايامهم وامتلأت بها خزائنهم[2] وتناقلها الناس حتى قالوا إنه كان يعمل منهـا أوانٍ ، ولهذا قال الشافعي في كتاب حرملة « لا يجوز استعمال أواني الياقوت والبلور لأن قيمتها تفوق قيمة الذهب »[3] وواضح انه لو لم يكن هناك أوان من هذا الضرب لما قال الشافعي قوله . فلما فاجأتهم الدولة العباسية ، وجدوا خيراً كثيراً وجوهراً وافراً ، ولم ينتفعوا الا بالقليل منه فقد حدث بعض أهل مروان « لم يكن لنا في هربنا شيء أنفع من الجواهر الخفيف الثمن الذي لا يجاوز قيمته الخمسة دنانير .. »[4] .

---

(١) الجماهر للبيروني (طبع حيدر آباد ، الدكن — كرنكو) ٣٢ (٢) الجماهر ص ٥٧

(٣) الجماهر ص ٥٤ (٤) الجماهر ص ٦٦

وقد شغف بنو العباس بالجوهر شغفاً كبيراً ؛ فقد ذكر ابن خلدون ان السفاح والمنصور اتخذا الأسرة الذهبية المرصعة بالجوهر، والحصر المنسوجة بالذهب المكللة بالدر والياقوت [١]

وذكروا انه كان لهشام بن عبد الملك درة اسمها « الدرة اليتيمة » أُتي بها يوماً وعنده امرأته عبدة بنت عبيد الله بن يزيد بن معاوية ، وكانت مفرطة السمن ، لم تكن تستغني في الحركة عن معونة نفر . فقال لها هشام : إن قمت بنفسك من غير استعانة بأحد فلك هذه الدرّة . فزاولت القيام بشدّة ومشقة ، وما تمّ نهوضها حتى خرّت على وجهها وسال الدم من أنفها ، فسلها هشام وأعطاها الدرّة . وكانت ثلاثة مثاقيل ، حائزة جميع محاسن الصفات ، مدحرجة نقية رائقة رطبة من كثرة الماء . فلما انقضت دولة بني أُمية ، وانتدب عبد الله بن علي لبيع ودائع مروان بن محمد ، غُمز اليه بأن عند عبدة الدرة اليتيمة وقرطان لها بقيا لديها . فأحضرها وطالبها بذلك ، فأجابته بأني إن دفعت اليك ما تريده فهل تريد مني شيئاً غيره ؟ قال لا . فسلّمت ذلك اليه . وكانت قد حملته مع نفسها . فقال لها : اختاري لك موضعاً أحسن لك فيه ، فسمت موضعاً بالشام ، فسيرها اليه . ثم خاف أن يطلع السفاح على ذلك ويستخبرها فأتبعها عبداً ، حتى عدل بها عن الطريق وذبحها [٢]

وكان مما أُخذ منها بَدَنة مجوهرة كانت عندها . ذكر الشابشتي في كتابه « الديارات » ان المهدي لما زوج ابنه الرشيد بأم جعفر ابنة اخيه ، استعد لها مالم يستعد لامرأة قبلها : من الآلة وصناديق الجوهر والحلي والتيجان والأكاليل وقباب الفضة والذهب والطيب ، واعطاها بَدَنة عبيدة ابنة عبد الله بن يزيد امرأة هشام . قال : ولم يُرَ في الاسلام مثلها ومثل الحبّ الذي كان فيها . وكان في ظهرها وصدرها خطان من ياقوت أحمر ، وباقيها من الدرّ الكبار الذي ليس مثله [٣] ويقال ان المقومين لم يقفوا على قيمة هذا الدرع لنفاسته [٤]

(١) التمدن الاسلامي ج٥: ١٠٦ (٢) الجماهر ١٥٢ (٣) الشابشتي (مخطوطة المجمع العلمي التي فرغنا من تحقيقها) (٤) تحفة العروس ٣٦

وذكر ابراهيم بن المهدي أن اباه اشترى فصاً من ياقوت احمر على أقصى النهاية في النفاسة بثلاثمائة الف دينار ، وكانت اكياسا – لا نضد بعضها على بعض – كالجبل . وقد وهبه للهادي[1] وقيل بل الذي اشتراه هو المنصور باربعين ألف دينار[2]

ثم صار الى الرشيد فقرنه الى الخاتم «الاسماعيل» الذي كان للمنصور . وكان من زمرد على وزن مثقالين يسمى «البحر» تشبيهاً له بخضرته ، وكان شراؤه بأربعين الف دينار[3]

وذكر البيروني في موضع ثان أن الجبل كان احمر معصفراً بهرماناً صافياً يتزن ثلاثة مثاقيل غير دانق ، وقيمته مائة الف الف دينار .[4] وفي القولين تناقض

وكان الرشيد شديد الولوع بالجواهر حريصاً على اقتنائها ، بعث بالصباح الجوهري ، جد الكندي ، الى صاحب سرنديب لابتياع جواهر في ناحيته[5]

وذكروا ان الرشيد كان ينثر الجوهر بغير حساب . وكان في جملة حظياته واحدة لم ترزق جارية من الجمال مارزقته هي . وكان الرشيد إذا أتحفهن بشيء ردت هذه حصتها ، وهو يغتاظ من ذلك . فاتفق يوماً أنه نثر عليهن جواهر لها قيم عظام فالتقطنها ، ولم تمد تلك اليها يداً . ثم أحضر جواهر غيرهـا وخيرهن ، فاخترن ، وقال لتلك : لِمَ لا تختارين أسوة بصواحبك ؟ قالت : إن كان لي ما أختاره فسافعل ، وجاءت وأخذت بيده وقالت له : هذا اختياري من جميع جواهر العالم . فأعجب الرشيد بها وسماها خالصة وفاقت سائرهن في الحظوة منه وفي الصلات والثوائب والمواهب[6]

وذكر البيهقي انه اشتُري للرشيد جوهر بمائتي الف دينار فوهبه لدنانير البرمكية[7] ولم تكن زبيدة زوجه بأقل منه عناية بالجواهر ، فقد كان لهـا سبحة من يواقيت رُمانية كالبنادق[8] وكان شراؤها خمسين الف دينار . وجرى بين الرشيد

(١) الجماهر ٦١ (٢) المحاسن والمساوي للبيهقي ٥٠٣ (٣) الجماهر ١٥٢

(٤) الجماهر ٦٢ (٥) الجماهر ٦٣ (٦) الجماهر ٥٨ (٧) المحاسن والمساوئ ٥٢٦

(٨) الجماهر ٥٨

وبينها يوماً ذكر نزاهة عمارة بن حمزة وعلو همته . فقالت : إن الأقدام الثابتة تزلْ عن مواطئها عند روائح المال ، فادْع به وهبْ له سبحتي هذه فان ردّها عرفنا نزاهته . ففعل ، وخلا به الرشيد في امر مهم ، ثم اتبعه السبحة ، فوضعها عمارة بين يديه بعد ان شكر برّه . ولما قام تركها مكانها . فقالت زبيدة : قد أنسيها ، فأتبعه خادماً بها . فقال للخادم : هي لك ان صدقت . فرجع قائلاً : إن عمارة قد وهبها لي ، فأعطته زبيدة الف دينار وارتجعتها منه [1]

وقد بلغ من اعجاب زبيدة بالدر ان أمرت ان يُتخذ ثياباً لوصائفها من الدر المثقوب بالتصليب . [2] ثم ازداد هذا حتى انها اتخذت الخفاف المرصعة بالجوهر تلبسها في قصرها [3] .

وقيل إنها اشترت لعبد الله ابن المخلوع قضيباً من زمرّد قدرذراع بأربعة وثمانين الف دينار ليلعب به يوم إعذاره (طهوره) وكان على رأسه طائر من ياقوت احمر [4]

أما المأمون فأخباره متناقضة ، تدل على شغفه بالجواهر تارة ، وتظهر نفوره منها أحياناً . فقد ذكروا انه لما قدم بغداد منصرفاً من خراسان اهدى اليه الفضل بن الربيع فصّ ياقوت لم يُرَ مثله . فأخذ المأمون يقلبه ويحوّله من يدٍ الى يد ، ويقول لجلسائه « ما رأيتُ أحسن من هذا الفصّ . ثم حدّثهم أن أبا مسلم سرّح زياد بن صالح الى الصين ، فوجه اليه بفصّ وقع له من جهته الى ابي العباس السفاح ، فوهبه لعبد الله بن علي ، وصار منه الى المهدي ثم الى الرشيد ، فبينا هو يرمي قوس جلاهق اذ بدر الفصّ من خاتمه وكرّ في ذلك الموضع حواليه ، فلم يُعثر له على اثر ، واغتم جداً . فاشترى له صاحب المصلىّ فصّاً عديم المثل بعشرين الف دينار ، وبعث به اليه ليسليه عنه فلما نظر اليه قال واين هذا من فصي ؟

ثم قال المأمون : « لأضعنّ من قدر هذه الحجارة التي لا معنى لها » ثم ردّ الفصّ على الفضل [5]

(١) الجماهر ١٥٦ (٢) الجماهر ٥٨ (٣) المسعودي ٣٦٦ (٤) الجماهر ١٦٥
(٥) الجماهر ٦٥

وذكر ابن خلدون وابن شاكر أن المأمون أعطى زوجه بوران ليلة زفافها الف حصاة من الياقوت، وبسط لها فرشاً كان الحصير منه منسوجاً بالذهب مكللاً بالدر والياقوت، فكان بياض الدر يشرق على صفرة الذهب، ونثر الحسن بن سهل على المأمون في تلك الليلة الف جوهرة .[1]

وقيل ان زبيدة لما دخلت على المأمون عند دخوله بغداد، هنأته بالخلافة، فأعجب بكلامها وحشى فاها دراً [2]

وذكروا ان المأمون كان يحب الواثق ويجتهد في تخريجه وعادله في السفر مرة فأخذ الجمال في الحداء، وأشفق المأمون ان يستيقظ الواثق من نومه، ولم يمكنه النداء بالجمال، فقطع سلك سبحة من الدر واخذ يرميه بدرة بعد أخرى الى أن أصابه، فالتفت اليه وأومأ اليه بالسكوت . ثم دُل احد الثقات بالغداة على الموضع فالتقطها من الطريق [3]

ولم يكن الأمين بأقل شغفاً بالجوهر من أُمه وابيه، حتى بلغ به ذلك ان كان يشرب بأقداح من بلور كللت جوانبها بالجوهر الثمين [4]

اما المعتصم فقد ورث ما كان عند أبيه واخيه، وقالوا انه لما قتل الإفشين اخذ من داره اصناماً محلاة بالذهب والجواهر [5]

وكانت هذه الجواهر تقع أحايين كثيرة في أيدي الحاشية والوصائف، وربما عادت الى خليفة آخر مرة اخرى . فذكروا ان المتوكل جلس يوماً لهدايا النيروز، فقدم اليه كل عِلق ثمين، فدخل عليه طبيبه جبريل بن بختيشوع، وكان يأنس به، فقال : ما ترى في هـذا اليوم ؟ قال جبريل : مثل خرباشات الشحاذين ! إذ ليس لها قدر .. أقبل على ما معي . ثم أخرج من كمه درج آبنوس مضبب بالذهب، وفتحه عن حرير اخضر، فانكشف عن ملعقة كبيرة من الجوهر لمع منها

(١) عيون التواريخ (مخطوط) ج ٦ سنة ٢٠٤ (دار الكتب الظاهرية)

(٢) عيون التواريخ ٦ : سنة ٢٢٦ (٣) الجماهر ١٥٦ (٤) المحاسن والمساوي ٣٦٢

(٥) عيون التواريخ ٦ : سنة ٢٢٦

شهاب . فوضعها بين يديه . فرأى المتوكل مالا عهد له بمثله . فقال : من أين لك هذا ؟ قال من الناس الكرام . ثم حدّث انه صار الى ابيه من ام جعفر زبيدة في ثلاث شكايات عالجها فيها ، بثلاثمائة الف دينار [١]

ودخل بختيشوع على المتوكل يوم مهرجان . فقال اين هديتك ؟ فقال هديتي لم يملكها خليفة قبلك ، واخرج ملعقة زبرجد توزن ثمانية مثاقيل ، وحكى عن أبيه جبريل انه قصد دنانير جارية يحيى بن خالد فوجدهـا تأكل رماناً بهذه الملعقة ، فقالت له خذ هذه الملعقة ، فأخذها ، ففرح المتوكل ، واحضر عتاباً الجوهري لتقويمها فقال «ما أعرف لهذه قيمة !..» [٢]

وقد كان الواثق يملك الدر الكثير . وحكى محمد بن بشير النديم انه دخل على الواثق فاذا هو في دار مفروشة الأرض والحيطان بالوشي المنسوج بالذهب على سرير مرصع بالجوهر والى جانبه جاريته فريدة ، وذكر ان الواثق اغضب فريدة يوماً فاسترضاها بحقٍ فيه عقد جوهر ما رؤى مثله لخليفة [٣]

ولا ندري ما كان يفعل المعتز بالجواهر لو طالت خلافته ، على انّ امه قبيحة — زوج المتوكل — كانت تجمع الجواهر وتدخرها . ولكنها لم تنتفع بها في دين ولا دنيا . ولم تغث به ابنها حين طلب منه الاتراك خمسين الف دينار على ان يقتلوا صالح بن وصيف ويريحوه منه . فلاذ بأمه فشحت عليه وقالت : لا مال عندي . فلما قُتل المعتزّ وجد لها صالح ثلاثة اسفاط فيها زمرّد وجوهر وياقوت أحمر ، ما ظُنّ ان يقع مثله ويكون في أيدي العالم . وقوّم هذا كله بألفي الف دينار . وقوّمت الأسفاط بالف الف دينار [٤]

ولما اشارت قبيحة هذه ، على ابنهـا المعتز بقتل أخيه المؤيد بعثت قبيحة الى امه في شهر رمضان بسبحة درّ قيمتها اربعة آلاف دينار وقالت لهـا سبّحي

(١) الجماهر ٥٤ (٢) الجماهر ١٦٥ (٣) عيون التواريخ ٦ : سنة ٢٣٢
(٤) الجماهر ٦٨

بها يا أختي . فسحقتها في الهاون ولفتها في كاغد وردّتها الى حاملتها وقالت لها : اقرئي عني اختي السلام وقولي لها : التسبيح لا يذهب بجزازات الدماء [١]

وكان بعض الخلفاء يبتاعون المتاع والأثاث بالجواهر بدلاً من الدنانير . فذكر ابن شاكر ان المستعين اشترى من المعتز كثيراً من المتاع والأثاث بما قيمته عشرة آلاف الف دينار وعشر حبات جوهر [٢]

وما انتقلت الخلافة الى المقتدر حتى كانت خزانة الدولة مترعة بالجواهر . ومن جملتها حجر الياقوت الذي اشتراه الرشيد بثلاثمائة الف دينار ، والدرة اليتيمة التي قومت بمائة وعشرين الف دينار وغير ذلك . [٣] على ان المقتدر اضاع ما وصل اليه على النساء وبذّرها فيهن . ولما احتشم وزيرَه العباس ورام اسكاته بالاشتراك في في النهب وتلويثه بالخيانة انفذ اليه من الجواهر ما يعظم مقداره تكرمة له ، فردّها العباس قائلاً « انها زينة الاسلام وعدّة الخلافة وليس تفريقها بصواب » [٤]

وكان لخالة المقتدر هذا فص يلقب بورقة الآس ، لانه كان على مقداره وزنه مثقال الا شعيرتان ، وشراؤه ستين الف درهم [٥]

* * *

تلك لمح موجزات عن الجواهر التي وصلت الى خلفاء بني العباس ، وإذا اضفنا الى هذا تلك الجواهر التي كانوا يزينون بها قصورهم ، كبرج المتوكل ، وقصر الثريا ، وقصور المقتدر وقصور سامرا ، رأينا الترف والبذخ الذين رتع فيهما الخلفاء ، فكانا سبباً في وهن ملكهم واندثار حضارتهم .

دمشق　　　　　　صلاح الدين المنجد

(١) الجماهر ١٥٨　(٢) عيون التواريخ ٦ : سنة ٢٦٨　(٣) الفخري ١٩١
(٤) الجماهر ٥٧　(٥) الجماهر ٥٧ .

مخطوطات ومطبوعات

تاريخ البيمارستانات في الاسلام

تأليف الدكتور احمد عيسى بك

مطبوعات جمعية التمدن الاسلامي بدمشق

للدكتور أحمد عيسى بك يد بيضاء في خدمة اللغة العربية بما وضعه فيها وبما نقله اليها من المؤلفات العلمية الطبية التي بعث فيها كثيراً من الألفاظ والتعابير القديمة المندثرة وبما أودعه فيها من المصطلحات العلمية الحديثة ٠ ومن خيرة ما طلع به علينا أخيراً تاريخ البيمارستانات في الاسلام الذي أسدى به الى العالم الاسلامي خدمة جلى لما حواه من مفاخر تنطق بسمو ما كانت عليه الحضارة الاسلامية من الرقي في مضمار التمدن والأخلاق الانسانية العليا وذلك لأن خير المظاهر الدالة على تقدم الأمم المدني والاجتماعي ما عندها من المصانع الخيرية واهمها المستشفيات العامة والملاجئ ودور الاسعاف ٠

وقد ألمّ الكتاب في قسمه الأول بصورة اجمالية بنشأة البيمارستانات ونظامها وأطبائها وأرزاقها ثم درس في قسمه الثاني بيمارستانات البلاد الاسلامية على التفصيل : في جنديسابور والعراق ومصر وسورية وفلسطين والحجاز وايران وتركيا والمغرب والاندلس ويربو عددها على التسعين مارستاناً مع ذكر أسماء من اشتهر من الاطباء الذين خدموا فيها وترجمة من عثر على ترجمته منهم بصورة مقتضبة ٠ وفي الكتاب وصف مسهب للبيمارستان الكبير المنصوري او مارستان قلاوون في القاهرة وللبيمارستان النوري بدمشق وهو محلى بكثير من الصور والرسوم والكتابات الاثرية ٠

وقبل أن نختم هذه الكلمة بالثناء العاطر على المؤلف نرى من الفائدة ان نشير الى عدم ذكر دار الجذام في دمشق التي قد تكون اقدم دار للمجذومين آهلة بالمرضى منذ تأسيسها حتى اليوم ٠ ولعلها هي الدار التي أعدها الوليد بن عبد الملك في دمشق للمجذومين

وأمر بحبسهم فيها لئلا يخرجوا على الناس وأجرى عليهم الأرزاق ونوه بذكرها الزميل تحت عنوان بيمارستان الوليد « وانه لم يصل الينا علم او إشارة عن المكان الذي انشئ فيه » .

وهي كائنة خلف سور المدينة خارج بابها الشرقي وعلى بعد خمسمائة متر تقريباً منه ٠على يمين الطريق الممتدة منه الى الشمال ٠ويعرف موقعها بالاعاطلة: وهي مؤلفة من حظيرة فيها عدة غرف مبنية من اللبن المطلي بالطين الأحمر يقيم فيها المجذومون من قرون بعيدة ؛ وبجانب هذا البناء الحقير الحديث العهد آثار لبناء عظيم قديم مازالت أنقاضه من الاعمدة والأحجار الضخمة باقية وهي ملقاة على الارض وحائطه الغربي قائماً وفيه الباب وهو مردوم بالتراب حتى قنطرته التي يستدل من شكلها على أنها من اعمال القرن السادس ويحيط بهذا البناء بستان كبير هو وقف عليه ٠ وقد تكون الحظيرة الآنفة الذكر حوشاً لهذا البستان ثم انتقل اليها المرضى عندما تهدم هذا البناء التاريخي ٠

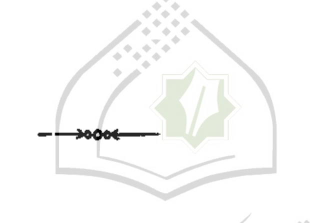
والمتواتر ان الوليد أقام مارستانه المذكور في التاريخ للمجذومين في هذا المكان وان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي جدد ذلك البناء ووقف عليه البستان المجاور له مع غيره من الاراضي الزراعية ومنها قرية جلين المشهورة في حوران وتسمى هذه الاوقاف بوقف الجذامى وكان يتولى إدارتها في السابق وانفاق ريعها على المجذومين أسر دمشقية معروفة الى ان وضعت مديرية الاوقاف العامة في دمشق يدها عليها بعد الحرب العامة واخذت تنفق من ريعها على المجذومين المقيمين في هذه الحظيرة وذلك حتى سنة ١٩٣٥ حيث وجدت مصلحة الصحة العامة في سورية بالاتفاق مع مديرية الصحة في المفوضية الفرنسية العليا ان بقاء هذه المؤسسة التاريخية في الموضع الذي هي فيه وعلى ما هي عليه لا يتلائم مع مقتضيات الفن الصحي الحديث فنقلت الى محل يقال له القصير قرب دومة على بعد ١٦ كيلو مترا من دمشق حيث أنشئ لها بناء كبير مؤلف من ستة اقسام متفرقة اثنان منها للذكور واثنان للاناث وقسم للاعمال الطبية وقسم للادارة وهو مجهز باحدث الادوات الصحية وفيه عدد من المجذومين يقرب

من المائة وقد عهد بادارته الى راهبات المحبة اللعازاريات وبرئاسته لكاتب هذه الكلمة بالاضافة الى رئاسة مستشفى ابن سينا للأمراض النفسية القائم على مقربة منه . وقد اطلق عليه اسم «مستشفى الوليد بن عبد الملك»

اما آثار دار الجذام القديمة فما زالت مهملة تعبث بها حوادث الطبيعة يحيق بتاريخها وبهندستها الغموض تنتظر الساعة التي تمتد اليها فيها يد مصلحة الآثار السورية لتكشف عن حقيقتها اللثام .

هذا ولا بد لنا في الختام من شكر جمعية التمدن الاسلامي بدمشق على عنايتها بطبع هذا الكتاب القيم .

أسعد الحكيم



كتاب بلوغ المرام

وملاحقه

(لكل من القاضي حسين العرشي والاب انستاس
الكرملي طبع بمصر سنة ١٩٣٩ صفحاته ٥٠٤٢)

نُشر هذا الكتاب المسمى (بلوغ المرام في من تولى اليمن من ملكٍ وإمام) على الطريقة (الشكيبية) أعني ان ناشره زميلنا الفاضل الأب انستاس اضاف الى الكتاب من نتائج علمه ومجهودات بحثه ملاحق جعلته في (٤٤٢) صفحة فقط بعد ان كان اصله في ٨٢ صفحة : مؤلف الكتاب القاضي حسين بن احمد العرشي يَمني معاصر : نظم قصيدة في ملخص تاريخ اليمن منذ الفتح الاسلامي الى زمنه الحاضر سماها (مسك الختام) ثم عمد الى القصيدة فشرحها شرحاً قليلاً في لفظه كثيراً في معناه . وسماه (بلوغ المرام في شرح مسك الختام) . ومن دأب الاب أنستاس ان يحرص على

استيعاب اخبار اليمن والاطلاع على ما وضع فيها من المصنفات : فكان يجد في بعضها قصوراً وفي بعضها تقصيراً . حتى ظفر بكتاب القاضي العرشي فأعجبه واشتراه مؤملاً انه بخط المؤلف ثم تبين له انه بخلاف ذلك . في قصة اشار اليها في مقدمة الكتاب ثم فصلها في ص ٢٤٠ . وقد قال الاب في المقدمة انه لم يجد اثراً لترجمة المؤلف ولم يهده احد اليه : لافي صنعاء ولا في بغداد ولا في القاهرة . وكل ما استنتجه بشأنه في مطاوي تأليفه انه زيديّ المذهب وانه كان حيّاً سنة ١٣١٨ هـ

ومن محاسن المصادفات ان يكون في زيارتي حين تصفحي للكتاب (جميل بك نوري) نزيل دمشق وهو ابن اخت محمود نديم باشا المشهور الذي تولىّ اليمن في آخر العهد العثماني . فأطلعته على الكتاب وسألته عن القاضي حسين العرشي مؤلف (بلوغ المرام) وقرأت له ما ذكره ناشره الاب الكرملي في الملحق الأول (ص ٩٢ و ص ٩٣) من خبر البعثة الانكليزية التي جاءت الحديدة في طريقها الى صنعاء (سنة ١٩١٨ م) فصدّتها قبيلة (القَحَرَى) . فقال : ان ما قاله الاب في هذه الحادثة صحيح لكنه يحتاج الى تعديل في بعض اخباره : لأني كنت مع خالي (محمود نديم) يوم قدوم البعثة وقد شاركته في تلافي الحادثة وفي يدي وثائق باللغتين الانكليزية والعربية تتعلق بتلك الحادثة .

ثم أطلعني جميل بك على الوثائق المذكورة . فقلت له : ان قراء مجلتنا لا يعنيهم تحقيق أمر هذه الحادثة من الوجهة السياسية وانما يهمهم امر القاضي حسين العرشي مؤلف (بلوغ المرام) الذي قال ناشره المحترم انه لم يجد له أثراً . ولم يروِ له أحد عنه خبراً . فقال : إني اعرفه معرفة شخصية كما أعرف القاضي عبد الله العرشي الذي عينه الامام معتمداً في (عدن) للمفاوضة مع البعثة والاعتذار اليها . حسبما ذكره الأب الكرملي في ص ٩٣ ثم قال : والقاضي عبد الله هذا هو ابن اخي القاضي حسين مؤلف بلوغ المرام. وكلاهما من (العرش) وهي قرية صغيرة في بلاد (خولان) إحدى مخاليف اليمن . وهذان القاضيان معروفان بالانتساب الى امام اليمن ومن المقربين لديه وكلاهما من قضاة اليمن . و(القاضي) في اصطلاح اليمانيين لقب تبجيل وتعظيم يدل

على فضل صاحبه وعلمه . كما نقول في بلادنا (الفقيه فلان) وليس القاضي عندهم بمعنى الموظف الموكول اليه فصل الخصومات كما هو الشأن عندنا وانما ، هذا يسمى في اصطلاحهم الحاكم الشرعي »

ولكن الاب انستاس فسر (القاضي) في ص ٤٣١ بكل من يعرف القراءة والكتابة . وهذا التفسير يوشك ان يكون تفسيراً لكلمة (الافندي) التركية في اول نشأة استعمالها في بلادنا . على ان تفسيره هذا لا يلائم قوله في ص ٢٤٩ (بمناسبة سعة اطلاع القاضي العرشي على اخبار اليمن واحداثها) ما نصه (وهذا لأن العرشي كان قاضياً والقضاة يضطرون الى مراجعة كتب كثيرة بخلاف أهل العلم فانهم قد يتفردون ببعض الكتب دون غيرها) فان هذا القول على غموض المراد منه يشعر بأن القاضي العرشي كان ذا وظيفة أو عمل غير القراءة والكتابة وانه يقوم به دون سائر علماء بلاده . فأي التفسيرين لكلمة القاضي نعتمد ؟

نرجع الى الكتاب المنشور : رأى الأب الناشر ان كتاب (بلوغ المرام) على وفائه بالحاجة السياسية من تاريخ اليمن لا تزال فيه امور يعوزها البيان . فأتبعه بملاحق من عنده :

(الملحق الأول) بلغ المؤلف العرشي في سرد حوادث اليمن الى سنة (١٩٠٠ م) فتتبع الاب بقية حوادثها الى سنة ١٩٣٤ م التقطها من الجرائد ومن معلوماته الخاصة (الثاني) في بلدان اليمن وقبائله (الثالث) مطامع الغربيين في اليمن (الرابع) الاتفاقيات والمعاهدات بين اليمن والدول

فالقارئ يقول ها قد انتهى الكتاب . نعم ولكن إتقان الاب الكرملي لم ينته : فعقد الفصول التالية وضمنها قصة شرائه مخطوطة (بلوغ المرام) ثم وصف المخطوطة ونقدها من جهة الرسم والنحو واللغة والأسلوب . وعزا كل ذلك الى الناسخ لا الى المؤلف الذي اثنى عليه . ووازن بين تاريخه وتاريخ غيره ، فرجحه . وذكر شيئاً من محاسنه . ثم قال : انه هو عاد فعلقت يده بنسخة من الكتاب أجود وأتقن من التي

اشتراها . وعقد فصلاً للمراجع التي استند اليها في ملاحقه : وهي ستة عشر مرجعاً أو كتاباً . وتكلم عن كل واحد من هذه الكتب بالتفصيل . وقد عنون هذا الفصل بقوله (المنتجعات التي ارتدناها) ولم يعجبنا هذا العنوان : فان فيه تكلفا . واين قوله هذا من قولهم (المراجع التي اعتمدنا عليها أو استندنا اليها) . فان الفصحاء في مثل هذا المقام يقولون اشتبه علينا امر كذا فرجعنا الى كتاب كذا . وقد أصبحت كلمة (المرجع والمراجع) اصطلاحاً للمؤلفين مثل قولهم (الباب) و (الفصل) و (المقدمة) ونحو ذلك . أما كلمتا (انتجعنا) و (ارتدنا) فمن الكلمات الأدبية التي تستعمل في مقام الخطابة والشعر ونحوهما . وعند الافرنج كلمة (البيليوغرافيات) بمعنى (المراجع)عندنا . فهل نراهم يعدلون عنها الى غيرها حتى يجوز لنا نحن ان نصنع صنيعهم ؟!

وصلنا في الكتاب الى ص ٢٧٦ وبقي منه ٦٧١ صفحة فبماذا مُلئت ؟ مُلئت فصلاً تضمن تصحيح هفوات سبقت في الكتاب وملاحقه الاربعة مع اضافات وفوائد واستدراكات .

قال الناشر : اعتمدنا في بعضها على ولدنا (العلامة روكس بن زائد العزيزي) استاذ العربية في احدى مدارس شرق الاردن . وقد اثنى الاب على هذا الشاب الذي آزره في عدة مواطن من الكتاب .

ثم جاء دور الفهارس وأولها فهرس لتحليل المباحث التاريخية وفهرس للكتب والجرائد الوارد اسمها في الكتاب وملاحقه وفهرس للنباتات وآخر للمعادن وآخر للأخلاق والعادات وآخر للجبال والآكام وآخر للبحار والأنهار والأودية وآخر للأديان والمذاهب وآخر لأسماء الأمم والشعوب وآخر للقرى والاماكن وآخر للملقبين بالباشا من ترك وعرب . وآخر للدول والبعثات والثورات والشركات والجامع الخ . وآخر لأسماء الرجال والنساء والبيوت والعشائر . وآخر لأسماء أئمة اليمن خاصة وآخر للألفاظ المستعملة في اليمن . وآخر لألفاظ يمانية لم ترد في الكتاب المنشور وانما زادها الناشر للافادة . والفهرس التاسع عشر هو فهرس للفهارس السابقة كلها

أرأيت أيها القارئ كيف ان هذا الكتاب بملاحقه وفهارسه أصبح أشبه بدائرة معارف للمملكة اليمانية وقد وسع كل ماله علاقة بها ؟

أرأيت أننا تعلمنا معشر الشرقيين من ناشري الكتب الغربيين طريقة إلحاق الفهارس والاستدراكات فأربينا عليهم ، وتقدّمناهم أشواطاً .

أرأيت كيف ان زميلنا العلامة رأى في كتاب (بلوغ المرام) جوانب مظلمة فألقى عليها من حسن بيانه نوراً يبهرَ عيون القراء . وقد يكون من شدة الظهور الخفاء .

وقد أعجبنا من صنيع الناشر الفاضل احصاؤه طائفةً من الألفاظ المستطيرة في جنبات اللهجة اليمنية وتخصيصه فهرسين جمع فيهما شواردها وقيّد أوابدها : (الدِمَّة) هي القطة (الزامل) النشيد الوطني (الطفش) البرنيطة (العرك) صيادو السمك (الفرّار) الزئبق (النطار) حارس الزرع (النقل) الحجارة (البرعشية) السيوف (الجيد) الجبل (الرزيم) مصرع القتيل (الزرط) الخفاش (سعْ) مثل : يقال فلان وفلان سع في نظري اي هما متماثلان (الشقران) الفراريج (شل) المكانَ احتله (الضاح) السراج (العنبرورد) الكمثرى (القشمي) الفجل (قنبر يقنبر) جلس يجلس (الكتان) البق الدبّاب الخبيث الرائحة (المردم) الزاوية (الهدس) شجر الآس (الوينان) يريدون اليونان . قال : والسفن المستعملة في سواحل بحراليمن يسمى أصغرها : الهوري فالقطيرة فالزعيمة فالسنبك فالساعية فالبغلة فالسفينة . الى غير ذلك من الألفاظ التي كان للأب المحترم فضل عظيم في التقاطها وتنسيق دررها . ويا ليته عمد الى البحث في أصول هذه الألفاظ وبيان ما اذا كانت حميرية او حجازية أو أعجمية . ولو فعل لجرى من عادته على عِرْق . ولاستنّ في ميدان لا يزال له فيه السبق .

وتتخلل قوائم هذه الألفاظ اليمانية التي جمعها الناشر الفاظ أخرى شائعة في جوانب لهجتنا السورية واللبنانية كما انها نفسها منبثة في اللهجة اليمانية . وما كان لذكرها معنى ولا فائدة في هذه القوائم : اذ أن المفيد للقارئ أن يعرف ما في لهجة

غيره مما ليس في لهجته . أما ما اشتركت اللهجتان (اليمنية والشامية) فيه فليس بالأمر العجيب ، ما دمنا عرباً في عنصرنا ، عرباً في لغتنا . وما الفائدة في أن يقال لنا ان اليمانيين يقولون في لغتهم اليومية : للآجرّ آجرّ . وللأركيلة أركيلة . وللألاجة الاجه وللألماس ألماس وللأمير الجيش امير الجيش . وللحنطة حنطة وللبرنيطة قبعة ولمن تبختر في مشيته تبختر . وحط على المكان نزل فيه ، واخذه بحذافيره . ورجال وجمعه رجاجيل (وهؤلاء اللبنانيون يقولون في أغانيهم الشعبية : لا تفتكر ياعلي حولك رجاجيل يابا) والزورق والطاقية والفلوكة وقشّ الزبد اذا كشطه والقهوة والكفتا واللبن والمحطة والمسرح والمقهى والنارجيلة والنبريش والنشا وإحنا (بمعنى نحن) واصحاب اي اصدقاء والبابور والبيور والتتن والتنبك والتنور والجبّانة . والحزام والحلبة والخافقية (لنوع من آنية الطعام) والخبز والخزامى والخيار والشباك والطاقة (اي النافذة) والصحن للطعام . والصيني (للآنية المجلوبة من الصين) والطواشي للخصي . والعوّامة للحلوى المستديرة المدملكة . والغليون الذي يمص به الدخان والقثاء والماهية لراتب الموظف . والمحبوس وجمعه محابيس . والمكتب للمدرسة ووقعت صاعقة في مكان كذا) كل هذا مما ننطق به في شامنا كما ينطق به اليمانيون في يمنهم ومن البعيد ان يكون الأب المحترم شامياً لبنانياً ثم لا يعلم ان هذه الكلمات من بنات وطنه . فهل نسيها ياترى ؟ !

ومما لاحظناه على الاستاذين مؤلف الكتاب وناشره أنهما لم يشيرا الى ان قصيدة (مسك الختام) التي نظمها المؤلف وشرحها — قد حذا فيها حذو قصيدة من اشهر قصائد الأدب العربي وقال النويري هي من أمهات القصائد : فان القصيدتين من فرد بحرٍ وقافية وموضوع . وليس هذا فقط بل ان سرد حوادث التاريخ في القصيدتين متشاكل . وجرس الكلمات وإيرادها متوائم . حتى ان من سمع قصيدة العرشي خيل اليه أنه يسمع القصيدة الأخرى وان كان بين القصيدتين فرق كبير من جهة بلاغة القول ونقاء الديباجة وجودة السبك . واعني بها قصيدة الوزير ابن

عبدون التي رثى بها أولياء نعمته الملوك من بني الأفطس : فقد سرد ابن عبدون الكوارث التي حلت بالملوك الماضين كارثة كارثة واتخذ من فجائعهم أسوةً للفجيعة ببني الأفطس :

مطلع قصيدة العرشي اليمني :

في صورة الدهر ما أغنى عن العبر لذي فؤادٍ وذي فهم وذي نظر
خدّاعة وهي في التحقيق شيمتها مكّارة وهو عيب غير مستتر
وفرّشت ذهباً للمالكين بها لكن حشتها حِدَاد الشوك والإبر

وقال ابن عبدون :

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الاشباح والصور
فلا يغرنك من دنياك نومتها فما صناعة عينيها سوى السهر
تسرُّ بالشيءُ لكن كى تغرَّ به كالأيم ثار الى الجاني من الزهر

وقال العرشي :

وما أمدّت بني العباس نجدتها الا بجيشٍ زوالٍ غير منتهر
وألبست ثوب هولٍ من خياطتها بني زيادٍ على منصوبة الجدر
ولا ابن مهديّ لما قام معتجراً زادته الا مزيد النقص في العمر
وما حمت جعفراً في داره وله معاقل مُلئت بالحزم والحذر
وفوّقت لبني الضحاك أسهمها ولم تدع لبني المنتاب من أثر

وقال ابن عبدون :

هوَتْ بدار وفلّت غربَ قاتله وكان عضباً على الأملاك ذا أُثر
واسترجعت من بني ساسان ما وهبت ولم تدع لبني يونان من أثر
وما أعادت على الضليل صحته ولا ثنتْ أسداً عن ربها حُجر
وخضبت شيب عثمان دماً وخطت إلى الزبير ولم تستحي من عمر
ولم تراقب مكان ابن الزبير ولا رَعتْ عياذته بالبيت والحجر

وهذه المقارنة بين القصيدتين ان كانت فاتت المؤلف الشارح فما كان ينبغي ان تفوت المحقق الناشر لما في ذلك من الفائدة للناشئين المتأدبين

ولا يقدح هذا في قيمة الكتاب المنشور . ولا في جهود ناشره الذي بلغ من الشهرة في خدمة لغتنا الشريفة والحرص على نشرها وتحقيق الفاظها مبلغاً لا يحتاج معه الى ثناء . وانما يحتاج الى دعاء ، بأن يطيل الله عمره ، ويُدني من يد المجتنين ثمره

المغربي

الجاحظ وفن القصص في كتابه البخلاء

رسالة للاستاذ محمد المبارك في ٧٦ صفحة

طبعت في مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٥٨ هـ / ١٩٤٠ م

استطاع الاستاذ المبارك في رسالته هذ ان يكشف عن فن الجاحظ في كتابه عن البخلاء بنهج لم يسبق اليه معتمداً على نصوص من الكتاب شرحها وعللها ، فوجد ان قصصه مأخوذة من الواقع وانه يصور الأشياء بدقائقها والانسان بحركاته ولهجته وهيأته وأنه ينفذ الى أعماق نفسه فيعرض شعورها غير أنه لا يستحسن ولا يستقبح ما يعرض اللهم الا ساخراً او من وراء ستار ، كل ذلك بأسلوب يلبس لكل حال لبوسها ، دقيق في التعبير ، يثير صوراً واضحة تظهر القصة وكأن القارئ قد حضرها بنفسه ، ورأى المؤلف ان كل ذلك يدخل في مضمار مايسميه الافرنج بالـ «Réalisme» اي المذهب الواقعي فأقر بأن فن الجاحظ في قصصه واقعي قبل ان يخلق أدباء الغرب مذهب الواقعية . ولعله بالغ في ذلك فالمذهب الواقعي نجم في أحوال خاصة وتبعاً لتطور خاص لم يشهده عصر الجاحظ فكانت له صفته الخاصة وبالغ في ايجاد نظير لتطور

الآداب الغربية حين جعل الجاحظ يبغي تصوير طبقة المتمولين التي ظهرت ببغداد في عصر الجاحظ (ص ١٣ و١٦) ، فأبو عثمان يصور البخلاء أين سكنوا : في بغداد او البصرة او مرو ، والى أي طبقة انتسبوا أكانوا كباراً جشعين او متمولين نهمين او كانوا طفوليين او معولين او محتالين . وعلى كل فالاستاذ المبارك يحمد على رسالته التي تشعر بقدرة وتتبع وجهد تنبئ بمستقبل حسن في التأليف .

وتلك بضع ملاحظات عرضت لنا :

ص ١٢ : فاته ان يذكر ثبت أهم ما كتب عن الجاحظ

من ص ٤٨ الى ٦٨ : اهمل أن يعنون كل القصص فصار القارئ يتوهم ان عنواناً وضع لقصة واحدة يسري على عدد منها متتابع

من ص ٤٨ الى ٧٣ : نسي ان يذكر اماكن القصص المنتخبة في كتاب البخلاء من الطبعة التي اعتمد عليها .

وكان حرياً به أن يفرد في اول رسالته وصفاً عاماً لكتاب البخلاء ليعرف القارئ ما يقرأ عنه ، وان يقارنه بما ورد في كتب الأدب في باب البخل والبخلاء وان ينسب فن الجاحظ القصصي الى فنه في مجمل تأليفه ، ولعلنا نطلب شططاً من مؤلف يقدم عجالة ويعرض جديداً .

يوسف العش

آراء وأنباء

تعزيز اللغة العربية في لبنان

تأليف جمعية دائمة مهمتها السهر على لغة القرآن

نشرت الصحف المحلية في لبنان وسوريا الخبر الآتي

في أواخر الاسبوع الفائت جرى اجتماع مرخص به من قبل الحكومة اللبنانية في منزل المحامي الاستاذ الياس نعوم بركات للمداولة والبحث بشأن تعزيز اللغة العربية في البلاد . وقد حضره رهط كبير من كبار علماء البلاد وأدبائها ومحاميها ، وافتتح الجلسة الاستاذ بركات صاحب الدعوة بكلمة بين فيها الغاية من الاجتماع ثم انتخب سماحة الشيخ مصطفى الغلاييني رئيساً للجلسة والاستاذ روبير ابيلا امين سر لها وبعد مناقشات طويلة سجل لسماحة الشيخ رئيس الجلسة اقتراح مفاده ان تكون اللغة العربية اللغة الرسمية الوحيدة في جميع المحاكم الوطنية وسائر دوائر الحكومة والبلديات كذلك اقترح ان يبحث المجتمعون بشأن تعزيز اللغة العربية في جميع نواحي حياتنا الاجتماعية

وسجل لنقيب المحامين الاستاذ فؤاد خوري اقتراح آخر بأن يكون للغة العربية المقام الأول في جميع المعاهد العلمية على اختلاف أنواعها وان يكون تدريسها اجبارياً في كل صف من صفوف الدراسة ، رسمية كانت أو خصوصية ، ثم اقترح ان ينبثق من هذا الاجتماع جمعية رسمية تستحصل على إجازة من الحكومة للاهتمام بهذا الموضوع واتخاذ جميع الوسائل الممكنة لتعزيز اللغة العربية .

وأخيراً اقترح صاحب الدعوة ان لا تعطى البكالوريا باللغات الاجنبية قبل ان ينالها الطالب باللغة العربية .

وبعد موافقة الجميع على هذه المقترحات وتوقيعهم اياها انتخبت لجنة موقتة تكون مهمتها العمل على تحضير مجتمع اوسع من المجتمع المعقود يدعى اليه فريق من اهل

العلم والأدب والغيرة على تعزيز اللغة العربية ورفع مستواها في هذه البلاد لانتخاب جمعية دائمة تقوم بتنفيذ المقررات الآنفة الذكر وغيرها مما يعمد اليه فيما بعد ، وقوام اللجنة المذكورة سماحة قاضي الشرع الشيخ مصطفى الغلاييني رئيس الجلسة وامين السر فيها الاستاذ روبير ابيلا نقيب محرري الصحافة اللبنانية ، ونقيب المحامين الاستاذ فؤاد الخوري ، والنقيب السابق للمحامين الاستاذ جوزيف خوري ، ووزير المعارف ونقيب الصحافيين سابقاً الاستاذ خليل كسيب ، والشاعر الكبير الاستاذ بشارة الخوري ، والاديب المعروف الاستاذ جرجس المقدسي ، وصاحب الدعوة المحامي الاستاذ الياس نعوم بركات .

وقد قررت اللجنة المذكورة عقد اجتماعها يوم الاثنين الساعة الرابعة بعد الظهر في ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٩٤١ في دار سماحة الشيخ مصطفى الغلاييني .

(المجمع العلمي) مسره هذا الخبر جد السرور وهو يهنئ القائمين به ويغتبط بعملهم ومسعاهم الجليل في خدمة اللغة العربية

اهداء كتب

أهدتنا وزارة معارف العراق الجليلة طائفة من الكتب المدرسية المقررة لمدارسها وعددها ٤٤ كتاباً مطبوعة طبعاً متقناً ومزينة برسوم جميلة وجميعها تأليف كبار أساتذة التعليم في العراق وترجمتهم وهي :

	اسم الكتاب	اسم المؤلف	عدد الأجزاء	مكان طبعه
١	القراءة الخلدونية	ابو خلدون	١	بغداد
٢	تمارين الحساب للمبتدئين	الدكتور داود القصير	٢	〃
٣	القراءة العربية	محمد بهجة الاثري	١	دمشق
٤	دروس الاشياء	جعفر خياط وتحسين ابراهيم	٣	بغداد
٥	الصحة للاحداث	الدكتور محمد حسن سلمان	٣	〃

	اسم الكتاب	اسم المؤلف	عدد الأجزاء	مكان طبعه
٦	الجغرافية الاولية الحديثة	عزيز سامي وابراهيم شوكة	٣	بغداد
٧	الحساب	جماعة من مدرسي الرياضيات	٢	〃
٨	المطالعة العربية	اكرم زعيتر وعز الدين آل ياسين	٢	بيروت وبغداد
٩	الحساب الثانوي	محمد علي مصطفى	٢	بغداد
١٠	مبادي العلوم الطبيعية	تحسين ابراهيم وجليل جواد وجعفر خياط	١	〃
١١	الهندسة المستوية	علي وجلال امين زريق	٢	〃
١٢	الجبر	حكمت عبد الحميد وشريف يوسف	١	〃
١٣	الجغرافية المتوسطة الحديثة	ابراهيم شوكة وعزيز سامي	٢	〃
١٤	الكيمياء الأولية	تحسين ابراهيم	١	بيروت
١٥	تاريخ الامة العربية	درويش المقدادي	١	بغداد
١٦	الفيزياء العملية	بشير اللوس وحسن الجواد	١	〃
١٧	علم الحيوان	عبد العزيز مهدي وبشير اللوس	١	〃
١٨	مبادي المثلثات المستوية	محيي الدين يوسف	١	〃
١٩	دروس الرياضيات العامة	عبد الله غوبديا ومحمد علي مصطفى	٢	〃
٢٠	علم النبات	عبد العزيز مهدي وجعفر خياط	١	〃
٢١	الهندسة المجسمة	علي مظلوم وجلال امين رزق	١	〃
٢٢	التربية والتعليم في تركيا الحديثة	الدكتور محمد فاضل الجمالي	١	〃
٢٣	اتجاهات التربية والتعليم في المانيا وانكلترا وفرنسا	〃 〃	١	〃
٢٤	بيت الأمة أي التعليم الريفي في المكسيك	ترجمة نجلا طنوس عقراوي	١	〃

	اسم الكتاب	اسم المؤلف	عدد الأجزاء	مكان طبعه
٢٥	هذه اهدافنا	الدكتور سامي شوكة	١	بغداد
٢٦	مشروع التعليم الاجباري في العراق	الدكتور متى عقراوي	١	〃
٢٧	نهج الدراسة الابتدائية والمتوسطة والثانوية	وزارة المعارف	٣	〃
٢٨	الكيمياء العامة في الفلزات واللافلزات	تحسين ابراهيم وجبرائيل فتح الله كساب	١	〃
٢٩	الكيمياء العامة	ابراهيم اسماعيل وفرح الله ويردي	١	〃
٣٠	التاريخ العام	الدكتور مجيد خدوري	١	〃

الفهرس العام

(لما في هذا المجلد من المواد والموضوعات مرتباً على حروف الهجاء)

(حرف الألف)

الصفحة

الصفحة

(حرف الباء)

(حرف التاء)

الصفحة

(حرف الجيم)

(حرف الحاء)

(حرف الخاء)

(حرف الدال)

(حرف الذال)

الصفحة

(حرف الراء)

(حرف السين)

(حرف الشين)

(حرف الصاد)

(حرف الطاء)

(حرف العين)

الصفحة

(حرف الغين)

(حرف الفاء)

(حرف القاف)

(حرف الكاف)